352

HARLEQUIN

روايات أحلام

حرّرها الحب

روبين دونالد

www.elromancia.com
مرمورية

حرّرها الحب

ثمة طريقة واحدة تمكّن لورين من الهرب من جزيرة سنتا روزا الممزقة بالحرب : يجب أن تتزوج غاي ، الغريب الفاتن ، زواجاً أبيض لكن الحكاية لا تنتهي هنا ...

فما إن يجتمع غاي ولورين في مكان آمن ، حتى يكتشفان أن وعود الزواج لم تكن مسرحية . و «الأفظع» من ذلك أنه أمير فعلاً ، في إمارة داسيا المتوسطية ، وهما مجبران على الزواج مرة ثانية علناً ... وفي زفاف رسمي ... بناءً لأوامر ملكية !

روبين دونالد

تعيش «روبين» حتى الآن في «نورثلاند» في «نيوزلند».

أقامت أولاً في مزرعة والدها المنتجة للأجبان والألبان، ثم انتقلت إلى «باي أوف أيلندز» وهي منطقة ذات جمال طبيعي أخاذ، حيث تعيش هناك مع زوجها وكلبها. استقالت من مهنة التدريس حين اكتشفت أنها تفضّل عليها كتابة الروايات. والآن حين لا تكتب «روبين» فهي تقرأ أو نعتني بحديقتها أو تسافر أو تكتب الرسائل لولديها الراشدين وأصدقائها.

تمهيد

رفع غاي باغاتون رأسه ووقف مستقيماً فبدت قامته المديدة الملفتة، وراحت نظراته الداكنة تنتقل إلى هدف محدّد فوق بساط الرمال البيضاء.

اقتربت امرأة من البار وقد التمعت أشعة شمس المحيط الهادىء القوية فوق شعرها، فبدا كشعلة زرقاء من النار. كان غاي يقف في الجهة المائلة من البار حيث لا يمكنها أن تراه. ارتداؤها الزي المحلّي «السارونغ» أثار إعجابه، فقد أظهر جمال كتفيها. بدا كل ما فيها جذاباً ورفيع الذوق، الثوب الذي يغطي جسمها حتى صندالها الذي يكشف عن ساقين طويلتين مشوقتين. فسأل بصوت خفيض لم يسمعه سوى موظف البار: «من هذه؟».

رفع الرجل بصره وقال: «إنها الآنسة لورين بورتر... وصلت بالطائرة منذ ساعتين فقط قادمة من «آتو» وسوف تمكث ليلتين».

لم يظهر على وجه غاي أي تعبير حين قال: «فهمت».

عندما اتصل المدير بغاي منذ ساعة، بدا واضحاً أنه يشعر بالقلق لأن الزائرة الجديدة أعلنت عن نيتها زيارة إحدى القرى الجبلية. اسم المرأة رجّع صداه في مكان ما من ذاكرته، واستغرق الأمر منه بعض الوقت ليستهدي إلى مصدر هذه الذكرى.. إنه حديث دار بينه وبين إحدى قريباته منذ أشهر، وهي أميرة باقارية متقدمة في السن، ذات أنف فضولي لتقصّي الأخبار وعين خبيرة بالرجال. كان غاي مدعوّاً إلى حفل عشاء ممتاز أقامته، قالت له يومها: «رأيتك تتحدث إلى مارك كوربت وزوجته الرائعة. أتساءل إن كانت بيج تعلم بأن لديه عشيقة إنكليزية».

www.elromancia.com

قال غاي باقتضاب: «أشك في ذلك».

كانت بيج كوربت قد لفتت انتباهه فقد بدت مغرمة بزوجها. كما عُرِف عنها أنها ذات سمعة طيبة وأن لديها العديد من الاهتمامات.

– قلّة من الناس يعرفون بهذا الأمر، فهما شديدي التحفظ ولا يظهران معاً على الإطلاق. لكن ذلك لا يمنع الفضوليين من تنسّم الأخبار.. اسمها لورين بورتر، وهي إنكليزية جميلة، طويلة الساقين، تعمل في مجال التجارة. قيل لي إنها بارعة جداً، وإنها على علاقة حميمة مع مارك منذ عدة سنوات.

رفع غاي حاجبيه لكنه لم يقل شيئاً. فأومأت الأميرة الكهلة قائلة: «والآن، سوف تغيّر نظرتك إليه، فلن تحبه بعد اليوم. لطالما كنت تملك حسّ النزاهة حتى عندما كنت ولداً صغيراً».

ابتسم بسخرية وهو يخفض بصره نحوها، إلا أن احترامه لمارك كوربت تناقص بشكل كبير. مع أنه وعد قريبته بألا يفشي السر.

ضاقت عيناه بسبب أشعة الشمس الاستوائية وهو يراقب لورين بورتر فيما هي تقترب من البار. إن رحلتها إلى هذا المكان تمت بتنظيم من شركة كوربت، فلا بد إذن أن تكون المرأة نفسها. ما الذي تفعله هنا؟

ما إن أصبحت قريبة منه وتمكن من رؤية وجهها، حتى شعر بما يشبه الصدمة فطرف بعينيه وشهق بسرعة. إنها فاتنة! لا عجب أن توقع مارك كوربت في حبائلها.. بشرتها ناعمة كالحرير، عيناها واسعتان بلون رمادي باهت وهما تلمعان كالكريستال، بالإضافة إلى ذلك، فهي تملك جسداً رائعاً ينضح بالإغراء والجاذبية.

لماذا تخطط هذه المرأة لزيارة قرية جبلية صغيرة قذرة؟ لا بد أن الأمر يتعلق بعملها، ولا بد أنه يتعلق أيضاً بمارك كوربت، فهذا الأخير يساهم في مختلف أنواع المشاريع الصناعية المنتشرة في العالم.

قطب غاي جبينه وهو يراها تبتعد عن البار وتختفي داخل قاعة

الاستقبال. من الأفضل أن يذهب ليرى ما الذي تريده.

لن يكون من الصعب إقناعها بعدم مغادرة المتجع، سوف يخبرها أن المنطقة الجبلية مليئة بالصراصير الضخمة ويتبع ذلك بإشارة إلى العلق ما سوف يجعلها، على الأرجح، تفرّ هاربة.

وعلى الرغم من ابتسامته العريضة الساخرة، أحاط به شعور بعدم الارتياح وكأنه يترقب خطراً ما. ومع أنه لم يكن يعلم ما سبب هذا التوجس الذي يشعر به إلا أنه يعلم أن توجسه غالباً ما يكون في محله، فقد أنقذ هذا الشعور حياته مرتين من قبل لذا لا يمكنه أن يتجاهله. كان عليه أن يحضر هاتفه الخليوي معه من المكتب قبل مجيئه إلى المتجع. قال لموظف البار: «إذن، أنت لم تسمع أية أخبار مقلقة؟».

هزّ الرجل كتفيه وقال: «هناك الكثير من الأقاويل. لكن هذا أمر اعتيادي في سانت روزا».

ردّ غاي بنبرة ملؤها التساهل: «طبعاً، فالثرثرة سلعة مجانية. حسناً. انسَ الأمر».

كان الشاب يلمّع الأكواب، قال وقد عكست نبرة صوته القلق الظاهر في عينيه ووجهه الداكنة: «ما الذي سمعته أنت؟».

أجابه غاي بصدق: «لا شيء. ليس هناك شيء محدد، لكنك تعرفني.. أحب لملمة الأخبار».

التقط موظف البار كوباً زجاجياً آخر وقال بسأم: «أرجو أن تكون الحرب قد انتهت فعلاً. لكن منذ أن بدأ ذلك المبشّر بالتحدث عن جون فرام الذي سيأتي من أميركا محمّلاً بالأطعمة والمشروبات والسجائر وكل الأشياء الأخرى حتى ساد التوتر من جديد بين الناس».

– أعلم ذلك. عليك أن تبقي عينيك وأذنيك مفتوحة. هل تفهم؟

وأومأ غاي باتجاه صالة الاستقبال قائلاً: «سأذهب للتعرف على الآنسة

بورتر».

ما إن يتمكن من إقناعها بأن الذهاب إلى المنطقة الجبلية أمر متعذر حتى يعود فيتحدث إلى موظفة الاستقبال، فهذه الأخيرة قدمت من قرية قريبة من الحدود، وربما تكون قد سمعت شيئاً يفسّر هذا الشعور البدائي بالتوجس الذي يتسلل عبر عموده الفقري ببرودة.

ابتسم الشاب ابتسامة عريضة قائلاً: «الآنسة بورتر امرأة جميلة، لكنها.. نحيلة الجسم. لا أدري لماذا تحبون - أنتم الأوروبيون - النساء النحيلات».

وهزّ رأسه متعجباً من غرابة ذوق الرجال الغربيين، ثم أضاف: «إنها لطيفة.. تبتسم لك وتتحدث إليك وأنت تحمل حقائبها».

لم تكن المرأة تبتسم عندما توقف غاي في مدخل الردهة، كانت تتكلم بتصميم حتى إنها لم تلاحظ قدومه.

لم تكن المرأة جميلة فقط، بل بدت شفتاها المكتنزتان مليئتين بالوعود المغرية. لكن من يهتم لذلك؟ ليس هو بالتأكيد!

بدت لورين بورتر مسيطرة تماماً على نفسها، مع أنها لم تحصل على مرادها.

حان الوقت لاستدعاء الصراصير.. هكذا قرّر غاي ساخراً، وخطا إلى الداخل تاركاً حرارة الشمس خلفه.

١ - رحلة مستحيلة

قطبت لورين: «هل تعنين أن من المستحيل الوصول إلى هذه القرية؟».

تردّدت موظفة الاستقبال قبل أن تقول بحذر: «ليس الأمر مستحيلاً سيدتي لكنه صعب».

تجنبت عينا المرأة القلقتان النظر مباشرة إلى عيني لورين: «الطريق إليها خطر جداً سيدتي».

استعادت لورين ذكرى قدومها من المطار في باص صغير راح يهتز بعنف خلال مسيره. فكرة سلوك طريق أسوأ من تلك فلم تكن فكرة سارّة، وفكرت بتجهم: حسناً، وما هو الجديد في الأمر؟ لا شيء في هذه الرحلة كان سهلاً.

تمنت لو أنها لم تعد بيج بتفقد مؤسستها الخيرية المفضلة. في لندن بدا لها الأمر سهلاً، مجرد زيارة لمدة يومين إلى جزيرة استوائية تقتطعهما من عطلتها التي تمضيها في نيوزيلاندا.

آه! تأخرت رحلتها إلى سنغافورة وهكذا لم تتمكن من اللحاق بالآخرين. وكان عليها أن تنتظر حتى الصباح الباكر لتستقل الطائرة إلى الساحل الجنوبي.

ولأنها لم تنم سوى ساعتين فقط فإن رأسها يؤلمها وعيناها تخزّانها كما أن الابتسام يجعلها تشعر بألم في شفتيها. والآن هذا! أبعدت خصلة شعر سوداء رطبة عن خدها وقالت: «ماذا عن باصات النقل العام؟».

www.elromancia.com

توقفت موظفة الاستقبال عن العبث بالأوراق أمامها ثم ثبتت زهرة الخبازى القرمزية اللون خلف أذنها وهي ما زالت تتجنب النظر مباشرة إلى عيني لورين ثم قالت: «سيدتي، لا شيء من ذلك مناسب لك».

غضنت لورين جبينها: «سأكون سعيدة بركوب الباص المحلّي».

بدا الانزعاج على المرأة الأخرى وكررّت قائلة: «إنه ليس مناسباً لك بالإضافة إلى أن تلك القرية معزولة جداً».

لقد تم توظيف رأسمال لإقامة مصنع في تلك القرية لذا فإنها لن تكون معزولة بشكل كبير. حملت كلمات لورين نبرة فولاذية وهي تقول بإصرار: «في هذه الحالة، أين يمكنني أن أستأجر سيارة؟».

تشدّق صوت رجولي قاس من خلفها: «لا يمكنك ذلك. ليس هناك وكالات لتأجير السيارات في الساحل الجنوبي».

تصلّبت لورين وقد تنبّهت حواسها كلّها، فصوت ذلك القادم الجديد بدا عميقاً مفعماً بسخرية حادة، يدل على ثقة رجوليّة بالنفس.

استدارت ببطء، وعلى الرغم من قامتها الطويلة، كان عليها أن ترفع بصرها لتلتقي عيناها بعينين شبه مغمضتين ذات لون متماوج كحجر التوباز، أطلتا من خلف رموش سوداء مثيرة. شعرت بمعدتها تتخبط في داخلها لتعود فتهبط كأنها تقع بين قدميها.

ردّدت كلامه ببلاهة: «ما من وكالات لتأجير السيارات؟».

- سيدتي، إن أقرب وكالة لتأجير السيارات هي في العاصمة. وكما تعلمين، إنها تبعد مسافة ساعة طيران عن سلسلة الجبال.

خرجت كلمة «سيدتي» من فم الرجل ببطء متعمد فشعرت بها لورين تلهب بشرتها. تمسكت بسيطرتها على نفسها، ثم قالت بصوت هش: «إذن، كيف يمكنني الوصول إلى هذه القرية؟».

وبما أنها لا تعرف كيفية لفظ اسم القرية كانت لا تزال تحمل في يدها

تلك الورقة التي أعطتها إياها بيج.

تبدّلت تعابير وجه الرجل بطريقة ماكرة فيما هو يتفحص الورقة، إلا أن نبرته لم تتغير: «أشك بأن تتمكني من ذلك. لقد تسببت الأمطار مؤخراً بانهيار جزء كبير من الجبل فوق الطريق».

- لا بد أنهم قاموا بإصلاحها.

لاحظت لورين أن حاجب الرجل الأيسر ارتفع بتسلية ملؤها السخرية.

- السكان المحليون يقطعونها سيراً على الأقدام. وربما تكونين قد لاحظت أن سانت روزا ليست متقدمة كثيراً في مجال السياحة، فهي لا تزال في مرحلة التقاط أنفاسها بعد الحرب الأهلية.

- أعلم ذلك.

على أحدهم أن يخبر هذا الرجل أن الهدف من حلاقة الذقن هو إبراز معالم الوجه المنحوتة بوضوح لا تمويهها، وأن شعره بحاجة إلى القص.

نظرة أخرى إلى ذقنه وخديه جعلتها تدرك أن الظلال التي تغطيهما ليست بهدف التأثير في الآخرين، بل إن هذا الرجل لم يحلق ذقنه لأنه لا يهتم لما يفكر الآخرون به. التقطت بزاوية عينها بقية معالمه ما جعلها تقرّ، على مضض، أن شعره الذي يبدو أطول مما ينبغي قد قصّ بعناية، وأن حلاقة ذقنه لن تتمكن من إخفاء عظام وجهه القوية.

راحت فكرة مراوغة تلحّ على ذهنها؛ لقد رأت هذا الرجل في مكان ما... أو أنه يشبه شخصاً آخر؟

أجفلت لورين، إلا أنها لوت شفتيها بسرعة صارفة النظر عن الفكرة. من المؤكد أنها لا تعرفه! مهاجر أشعث المظهر في جزيرة نائية وسط المحيط الهادىء.. لا بد أنه غريب لا معرفة لها به.

سحبت نفساً عميقاً وتكلمت بوضوح وحذر: «هل يمكنني الذهاب إلى

هناك بالطائرة؟ فالآنسة موزي...».

وأشارت إلى موظفة الاستقبال التي كانت ترمق القادم الجديد بنظرات توحي كأنه أنقذها من خطر عظيم، وتابعت: «.. أخبرتني أن وسائل النقل المحلية ليست مناسبة».

- إنها على حق.

- لماذا؟

التمعت عيناه ثم قال: «هل ستشعرين بالسعادة وأنت تسافرين في عربة نقل قديمة تغطى الثقوب أرضيتها وهي دون مقاعد ودون حماية من الشمس؟».

ردّت باقتضاب: «إذا ما اضطررت سوف أفعل».

- ماذا عن الصراصير؟

لم يحمل كلامه أي نبرة خبث حين تابع يقول: «إنها سوداء كبيرة الحجم. سوف تأكل أظافر قدميك عندما تنامين».

آملة ألا يلاحظ الارتعاش الذي أصاب بشرتها، قالت لورين بنزق: «يمكنني أن أدبر أمري مع الحيوانات الموجودة في المنطقة».

تشدق الرجل: «أشك في ذلك. لكن إذا أردت الوصول إلى هناك يمكنك محاولة الذهاب سيراً على الأقدام».

تفحصتها عيناه بتمهل قبل أن يضيف بنبرة خطيرة: «لكن إذا قررت الذهاب بهذه الطريقة من الأفضل أن تدهني بشرتك جيداً بمرهم واقٍ من أشعة الشمس».

من هو هذا القادم الجديد المتهكم ذو العينين الساخرتين والذي جاء يفرض وجوده بقوة؟ أهو المدير؟ من الصعب أن يكون كذلك.

خلال رحلتها إلى هذه المنطقة غير المتحضرة من الحيط الهادىء، لم يكن ينقصها سوى هذه المواجهة مع رجل حقير ساخر ذي مظهر رجولي طاغٍ. إن

هيئة هذا الرجل مذهلة وتنضح بالجاذبية حتى إن كل عصب في جسدها الخائن قد شعر بالإثارة والتنبه.

تلاشت رباطة جأشها بتأثير ابتسامته التقييمية المتكاسلة، ما جعلها تشعر بالتصلب. حتى الثوب التقليدي الطويل الذي تتميز به هذه المنطقة والذي اختارته لورين بلونها المفضل وهو القرمزي لم يستطع إخفاء عدم الارتياح الذي ظهر على بشرتها البيضاء. لكنها ليست بلهاء! أجبرت نفسها على التكلم بصوت ملؤه الثقة بالنفس حين سألت: «كم من الوقت تستغرق الرحلة؟».

- ذلك يتوقف على مدى سرعتك. عليك ألاّ تتوقفي لمدة طويلة لأن العلق سوف يتسلل إلى جسمك ويعضك. هل تعرفين كيف تتخلصين من علقة التصقت بجلدك؟ أولاً، ارفعي الجهة الدقيقة منها ثم...

قاطعته موظفة الاستقبال: «سيدتي، إن السيد غاي يمزح، فالقرية بعيدة جداً ولا يمكنك الوصول إليها سيراً على الأقدام».

ورمقته بنظرة مجفلة كأنها لم تكن تتوقع منه هذا المزاح، ثم تابعت تقول: «سيدتي، يتطلب الوصول إليها سيراً على الأقدام يومين».

لم يعنِ لها اسم «السيد غاي» شيئاً. لكنها باتت تعرف اسمه على الأقل.

بصوت امتزج فيه الانتقاد بالشعور بالسأم قال الرجل: «كان على وكالة السفر أن تحذرك بأن هذه المنطقة بعيدة تماماً عن وسائل الحضارة».

ثم توقف لأقل من برهة قبل أن ينهي كلامه قائلاً: «ربما أنت تعرفين ذلك على أي حال».

شعرت بالغضب من نفسها لأنه تمكن من التأثير فيها، فكبحت لورين غضبها وقالت: «بما أنك لا تعرف شيئاً عني، سوف أتجاهل ملاحظتك هذه».

لحسن حظها، اندفعت موظفة الاستقبال في حديث باللهجة المحلية ما

جعل القادم الجديد يستدير نحوها مصغياً إلى حديثها، وبدا واضحاً أنه يفهم كل كلمة منه.

شملت لورين الرجل بنظرات متفحصة من عينيها الرماديتين، بدءاً من قميصه إلى بنطلونه الذي ينساب بارتياح حول ساقيه الطويلتين القويتين وفوق وركيه النحيلين، ما جعلها تعيد النظر في انطباعها الأول. إنه ليس شخصاً تافهاً. فبنيته الصلبة، خداه البارزان وذقنه التي ترتفع بشموخ تدل على شخصية لا تقبل المهادنة.

فخلف شخصية المتسكع على الشاطىء هناك هالة من الغطرسة تحيط بشخصيته الذكورية المتألقة تحت بشرته البرونزية. من المؤكد أنه شخص فظ، لكنه.. مثير للاهتمام، إذا كنت ممن يحبون الرجال الذي لا يستعصي عليهم أي شيء بما في ذلك نهب سكان المريخ.

بكلمات أخرى، فكرت في أعماقها، إنه بالتحديد الرجل المطلوب الذي يمكنه أن يوصلها إلى قرية بيج الأثيرة.. هذا، إذا ما تجاهلت غريزتها الذي تحذرها منه وتلح عليها لكي تهرب من هذا الرجل في الاتجاه المعاكس.

رفع الرجل بصره، والتقت عيناه بنظراتها الجانبية، فراح يتأملها بنظرات متفحصة. شعرت لورين بأنها تكاد تفقد السيطرة على نفسها تحت وقع نظراته القاسية التي لا ترحم كحرارة المنطقة الاستوائية. وفكرت بشراسة: إنه ليس النوع الذي أحبه من الرجال! تصاعد اللون إلى بشرتها وما لبث أن شحب وهي تسمع نبرة اليأس في صوت موظفة الاستقبال.

شعرت لورين وكأنها تسترق السمع، فراحت تتفحص مجموعة من البطاقات البريدية. كانت المراوح تدور بهدوء فوق رؤوسهم مرسلة موجات من الهواء الرطب الملطف في ذراعيها العاريتين. وفكرت أن هذا المتجع الصغير يوحي بالاسترخاء التام. فالسلام الذي يسود المكان بالإضافة إلى جماله الأخاذ يعوضان عما ينقصه من وسائل الرفاهية العصرية.

أخيراً، يبدو أن الشرح المطوّل الذي قامت به موظفة الاستقبال أفضى

إلى نتيجة، وكانت المرأة توجه بصرها بين الحين والآخر بقلق إلى لورين. لا بد أن هناك شيئاً خاطئاً.

استدار الرجل وراح يتفحصها من جديد، وقال: «لمَ تريدين الذهاب إلى تلك القرية؟ إنها قرية لا ترحّب بالسياح، ولا شيء هنَاك لتفعليه».

في نبرته لكنة خفيفة لم تستطع لورين أن تتبينها بوضوح. بدأت تشعر بالسخط، لكنها قالت متجنبة الرد على سؤاله: «أعرف ذلك، لكني لا أنوي البقاء فيها. كل ما أريده هو قضاء فترة بعد الظهر هناك. في الواقع، لهذا السبب جئت إلى سانت روزا.. خصيصاً كي أذهب إلى هناك».

- لماذا؟

لم تحاول لورين إخفاء تحفظها خلف كلماتها وأجابت: «أرى أن ذلك ليس من شأنك».

هز كتفيه العريضتين: «مهما كانت أسبابك فهي ليست كافية».

ثم تابع بلا مبالاة محبطاً رغبتها الفورية بالاحتجاج: «تعالي لنتناول معاً شيئاً من العصير وسوف أشرح لك السبب».

هل هذه محاولة منه للتقرب منها؟ نظرت لورين إلى موظفة الاستقبال وهي تشعر بخيبة الأمل، فسارعت هذه الأخيرة تقول لها بنبرة ملؤها الارتياح: «السيد غاي سوف يساعدك».

وعدتها المرأة بذلك وهي تشير بيدها الجميلة إلى الرجل وتبتسم له ابتسامة تنم عن التقدير لجاذبيته الذكورية الطاغية.

قالت بهدوء: «في هذه الحالة، سأقبل دعوتك لتناول العصير. شكراً لك».

وتمنت لو أنها ترتدي ثياباً أكثر أناقة واحتشاماً.. ثياباً عادية لا تكشف الكثير من جسمها. كما أن بعض الزينة على وجهها كانت لتساعدها أيضاً لتحتمي خلفها.

تحرك الرجل إلى جانبها بخفة ورشاقة النمر، وبسيطرة على الذات تخفي خلفها لمحة من الخطر. أحست لورين من جديد بقامته المديدة تنتصب إلى جانبها وكل جزء منها ينضح بالرجولة والجاذبية الطاغية.

اسمه إذن السيد فلان غاي أو السيد غاي الفلاني، حسناً، لن تخبره عن اسمها إن لم يتحلَّ باللباقة ليقدّم نفسه إليها بصورة لائقة. وكأنه أحسّ بتفحصها له، ألقى الرجل نظره في اتجاهها فشعرت لورين كأنما تيّاراً كهربائياً ذي شحنات قوية قد هزّها ما جعل قلبها ينتفض بقوة في صدرها.

أدارت رأسها بعزم نحو المنضدة الصغيرة، وفكرت بانزعاج أن هذا الرجل يضيع قدراته هنا، إذ إن لديه قوة كهربائية يمكنها أن تذيب نصف كمية الثلوج على الأرض.

من هو؟ أهو أحد المتسكعين من السكان المحليين يسعى إلى علاقة غرامية قصيرة خلال العطلة؟ أو ربما يبحث عن امرأة غنية وحيدة تنقذه من حرّ هذه المنطقة الاستوائية؟ لا! فمع أن الرجل يتمتع بجاذبية رهيبة، إلا أن غريزتها حذرتها من أنه أقرب إلى القرصان منه إلى رجل يطمع بأن يعيش على حساب امرأة.

بصوت يصفه أخوها غير الشقيق الذي تعمل لحسابه، بأنه متأنٍ لكن محبب، سألته: «هل أنت مالك هذا المتجع سيد غاي؟».

ارتفع حاجباه الأسودان كأنهما جناحان، وأجاب باقتضاب: «كلا، إنه ملك القبيلة التي تقطن في هذه المنطقة».

ودون أن يلمسها، وجّهها إلى طاولة تحت سقيفة كبيرة من القش قائلاً: «قد تكون هذه النقطة هي الأكثر برودة في هذا المكان، كما أنها تطل بشكل جيد على البحيرة».

جلست على كرسي وعادت تقول بإصرار: «لكنك تعيش هنا، في هذه المنطقة المميزة من سانت روزا، أليس كذلك؟».

رفع حاجبيه باستفسار ساخر ثم قال: «في بعض الأحيان».

وأشار إلى النادل وهو يسألها: «أي نوع من العصير تفضلين؟».

- عصير البابايا والأناناس. شكراً لك.

طلب لها العصير ولنفسه فنجاناً من القهوة. في هذا الوقت كانت لورين تراقب حشرة تسير بسرعة عبر الطاولة، راقبتها مبتسمة إلى أن اختفت تحت حافتها. وعندما رفعت رأسها وجدت أن غاي يراقبها.

- ألا تخافين من هذا الحشرات؟

اللكنة الخفيفة في نبرة صوته جعلتها تدرك أنه ليس إنكليزياً.

- ليس الصغيرة منها، لكن الكبيرة منها تلتمع عيونها بنظرة مفترسة.

راح يضحك دون تحفظ.. ضحكة جذابة بطيئة راحت تدغدغ حواسها بإثارة مخملية الملمس.

- إنها لا تعض، إلا إذا اضطرت للدفاع عن نفسها.

لفظ جملته الأولى مشدداً على الكلمات، حتى إن لورين تساءلت على الفور إن كان هو.. يعض.. ومتى..

وأنهى كلامه قائلاً: «قد يدهشك أن تعلمي كم هو عدد النساء اللواتي يصبن بالرعب من هذه الحشرات الصغيرة».

- والرجال أيضاً، أراهن على ذلك.

مال إلى الوراء في كرسيه لوضعية أكثر ارتياحاً، لكن نظرته الباردة أسرتها.

- حسناً، لِمَ أنت هنا؟ بل أكثر تحديداً، لِمَ أنت مصمّمة على الذهاب إلى أقل المناطق تحضّراً في سانت روزا؟

تجنبت الإجابة على سؤاله وسألته: «هل تلك المنطقة غير المتحضرة منطقة خطرة؟».

- لا تتوفر فيها أسباب الراحة.

وبدت نظرته الحادة ثابتة توحي بالتهديد وهو يتابع: «وهي تقع في المنطقة الحدودية، ولطالما كانت الحدود بين سانت روزا والجمهورية المجاورة منطقة توتر».

- كنت أظن أن المعاهدة التي تم توقيعها بعد انتهاء الحرب الأهلية قد أبعدت خطر التهديد بالاجتياح من قبل الدولة المجاورة.

ارتفعت كتفاه العريضتان باهتزازة خفيفة: «هناك لاعب جديد على الساحة. إنه مبشّر ذو شخصية قوية، ويبدو أن لديه اتباعاً على كلا الجانبين من الحدود. جزء من عظاته يهدف إلى إحياء التراث الديني والجزء الآخر هو نوع من الطقوس التي هي عبارة عن..».

قالت لورين بحدة: «أعرف ما هي تلك الطقوس، أولئك الأتباع يتوقعون مجيء مخلص يحمل إليهم خلاصة ما تتضمنه الحضارة الغربية من منافع. لكنني لم أدرك أن هؤلاء الأشخاص يستخدمون العنف».

- لم يكونوا كذلك حتى وقت قريب. لكن منذ يومين سرت شائعات بأن هناك من يزودهم بالأسلحة.

إذا كان أحد لم يرَ حتى الآن الأسلحة والمتفجرات التي يتم الحديث عنها، فإن غاي لا يشك بوجودها. على أي حال، كل مواطن في الجزيرة يعرف كيف يستخدم الخنجر، لقد تعلموا ذلك منذ صغرهم، ولطالما رأى بنفسه الأذى الذي يمكن أن يسببه نصل الخنجر الطويل.

راقب انعقاد حاجبيها الرفيعين معاً. ما الذي تفعله هنا؟ ولمَ تبدو مراوغة بهذا الشكل؟ إنها بالغة الأناقة من شعرها الأسود اللامع حتى أظافر قدميها المزينة بطلاء الأظافر. أمثالها من النساء يرغبن في العطلة بأكثر من متجع صغير روّاده قلائل ومعظمهم من العائلات.

رفعت لورين بصرها لتنظر إليه بحدّة، وقد التمعت عيناها اللتان كانتا باردتين منذ لحظات ببريق فضي غامض وقالت: «إنها مجرد شائعات».

- لكنها مؤكدة تقريباً. مع أن هناك الكثير من الشائعات الكاذبة، لكن من المؤكد أن الشعب لم يتجاوز بعد الآثار الدموية للسنوات العشر من الحرب الأهلية.

توقف قليلاً عن الكلام ثم تابع يقول: «موظفة الاستقبال أتت من تلك القرية التي ترغبين في زيارتها، وقد أخبرتني للتو بأن المبشّر قد اختفى».

- وهل هذا خبر سيء؟

- على الأرجح أنه ليس كذلك.

كان من السهل جداً مراقبة تعابير وجهها، فحوّل بصره نحو أسرة بالقرب منهما، حيث كان الوالدان يهتمان بطفليهما الصغيرين، وقد زوّداهما بالعديد من الألعاب الخاصة بالشاطىء وبإطارين مملوئين بالهواء.

ارتمى الطفلان بقوة في البركة الضحلة الفيروزية اللون وهما يصيحان ويضحكان فاندفع رذاذ الماء ليبللهما وبرش والديهما أيضاً.

شعر بحكة في مؤخرة عنقه نبهت حواسه بارتعاشه بدائية، كأنما هي ردة فعل ضارية متوحشة لم يتمكن دفاعه من التعامل معها. فراح يقاوم دافعاً قوياً يحثه على حمل تلك الأسرة التي لا عون لها وتلك المرأة التي تجلس قبالته ببرودة كأنها تقول: لا تلمسني! ليضعهم جميعاً على متن أول طائرة ويبعدهم عن هذا المكان.

لم يجرؤ على التمادي في هذه الأفكار، فالقبيلة التي تملك هذا المتجع قد استثمرت فيه كل قرش تملكه. وأي حركة خاطئة مع ما يتبعها من ضجة إعلامية ستجعلها تخسر كل شيء.

كانت المرأة الجالسة قبالته تراقب تلك الأسرة أيضاً، والتوى فمها عندما صاح أحد الطفلين مبتهجاً. تجهّم وجهه، ولعن جسده في سرّه لتجاوبه مع ابتسامتها.

قطبت لورين بورتر جبينها: «إذن، هل من المحتمل أن يلجأ اتباع هذا

المبشر إلى العنف إذا لم يأتهم المخلّص بكل ما في الحضارة الغربية من نِعم؟».

- أشك في ذلك، لقد عرف هؤلاء ما معنى التقاتل، لذا أظن أنهم سيعودون تدريجياً إلى قراهم.

لكنهم متوترون ومحبطون، فالسلام لم يحمل إليهم المنافع التي كانوا يتوقون إليها. والعديد منهم مستعد للقيام بأعمال شائنة. وإذا لم يظهر ذلك المخلّص الموعود، قد يحاول زعيمهم انقاذ سلطته المتهاوية عن طريق دفعهم إلى الاستيلاء على المناطق المجاورة لجمع الثروات المادية. وعندها لن ينفع الندم أو التردد. هزّ غاي كتفيه لدفع تلك الهواجس المزعجة من ذهنه.

- لكنهم قد لا يفعلون ذلك.

ثم، وكأنها تردد صدى أفكاره بدقة غريبة قالت بدهاء: «ربما يقررون المجيء إلى هنا للحصول على المكاسب بأنفسهم».

- هذا بعيد الاحتمال. وحتى لو قاموا بذلك فإن الشرطة تراقب المكان عن كثب، وسوف تخطر المسؤولين عن المتجع في الوقت المناسب لإخراجك من هنا.

- آمل أن يشمل ذلك الجميع أيضاً.

ابتسم لها غاي آملاً أن يجعلها تشعر بالطمأنينة وقال: «ثقي بي».

وصول النادل حاملاً شرابهما جعلهما تلتزم الصمت. نظر إليها غاي من تحت رموشه، وهو يحاول السيطرة على الأحاسيس التي أثارتها في جسده.

ثم قال: «في هذا الوقت، لا يبدو الذهاب إلى الجبال فكرة سديدة».

سألته بسرعة: «ماذا عنك أنت؟».

- ماذا عني أنا؟

- هل تذهب إلى هناك؟

نظر إليها بقلق قائلاً: «إذا كان عليّ الذهاب فسأذهب».

- يمكنك إذن أن تأخذني معك إلى القرية.

على الرغم من رقة أنوثتها، بدا فكاها مستعدان للقتال.

قال باقتضاب: «لن آخذك إلى هناك».

- سأدفع لك مقابل ذلك بالتأكيد.

شعر بغضب لم يشعر به من قبل وقال بصوت ملؤه القسوة: «سيدتي، أنا لن أذهب إلى هناك، وأنت كذلك. إذا أردت أن تتعرفي على طريقة عيش سكان العالم الثالث، فإن المتجع سينظم رحلة إلى القرية المجاورة».

وضعت كوبها على الطاولة، وسمّرته بنظرة ثابتة لتقول: «أود زيارة تلك القرية بالذات لأن.. صديقة لي ساعدت أهلها في إنشاء مصنع للزيوت هناك. لقد وعدت صديقتي بأن أتفقد سير الأمور أثناء وجودي في نيوزيلندا لقضاء العطلة».

صديقة.. إنه مارك كوربت بالتأكيدا أومأ غاي وهو يراقبها من تحت رموشه الخفيضة: «إذن عليك أن تقولي «لصديقك» إنني لن أسمح لك بالذهاب إلى هناك».

ردة فعلها على استفزازه المتعمّد لم تفاجئه، فقد بهتت ابتسامتها إلا أنها احتفظت بها وهي تمد يدها لترفع كوبها من جديد إلى فمها. أبقت نظراتها على وجهه وهي تشرب العصير بتلذذ وتمهّل.

إنها تستخدم سحرها الانثوي للتأثير عليه.. على الرغم من معرفته لما تقوم به بالضبط، اندفع الدم متسارعاً في شرايينه.

قالت لورين بنعومة وهي تعيد كوبها إلى مكانه: «حسناً. هذه نقطة جديرة بالنقاش، فأنا لا أعلم إن كانت لديك سلطة تسمح لك بمنعي».

راح غاي يعد حتى العشرة قبل أن يقول بفظاظة: «سوف أمنعك حتى لو اضطررت إلى تقييدك إلى جانبي حتى أضعك على متن طائرة متوجهة إلى الخارج. إن الذهاب إلى الجبال أمر في غاية الخطورة، قد تجدين من يوصلك إلى هناك إذا ما دفعت بسخاء، لكنك ستعرضين هذا الشخص إلى الخطر

أيضاً».

غدا اللون الرمادي في عينيها الشفافتين صافياً كالبلور، تفحّصته لثوان طويلة قبل أن تومىء قائلة: «أنت تعني ذلك حقاً! حسناً، لن أذهب».

شعر بالارتياح بصورة مفاجئة، فالتقط كوبه وأخذ منه جرعة كبيرة، متلذذاً بطعمه المميز لبرهة قبل أن يلاحظ أنها لم تقل في الواقع إنها لن تحاول الذهاب في ما بعد.

- عديني بأنك لن تغادري المتجع.

نظرت لورين إليه بوقار: «لا يحق لك أن تطلب مني أي وعد، لكنني لست بلهاء. لا أريد تعريض أي شخص للخطر، ولن ترغب صديقتي بذلك أيضاً. لكن ليتني أستطيع الاتصال بمدير ذلك المشروع لأسأله كيف تسير الأمور هناك».

يمكنه أن يساعدها في هذا الأمر، فقال مقترحاً: «بحسب علمي، كل شيء يسير على ما يرام. لكن إذا أردت الاتصال بالرجل، فلدى هاتفاً خليوياً في مكتبي».

رمقته بنظرة باردة وقالت بتهذيب: «شكراً لك. سوف أتصل به من هنا».

- لا يمكنك ذلك.

ارتفع حاجباها استهجاناً فقال مفتراً: «بعد الحرب الأهلية، تم تزويد زعيم كل قرية في هذه المنطقة بهاتف خليوي. هذه الهواتف ليست مرتبطة بالشبكة العادية للهاتف، فهذه الأخيرة لا يصل إرسالها أبعد من حدود المدينة».

استغرقت لحظات في التفكير ثم قالت: «فهمت».

تنهّدت بعدئذٍ قبل أن تضيف: «المكان هنا جميل كالفردوس، لِمَ لا يكون آمناً أيضاً؟».

وقف غاي على قدميه قائلاً باقتضاب: «يظهر على الدوام شخص فاسد طامع بالسلطة والمال».

- هل تظن أن لذلك علاقة بوجود منجم النحاس في هذا الجزء من سانت روزا؟ أهذا السبب تطالب الجمهورية المجاورة بالسيطرة عليها منذ نحو خمسين عاماً؟

- يبدو أنك جمعت بعض المعلومات.

قالت بهدوء ورموشها الكثيفة تخفي أفكارها: «أنا أجمع المعلومات دوماً».

عندما ارتفعت رموشها من جديد نظرت إليه ببراءة خالصة، ما جعل الشك يساوره. فظل واقفاً في مكانه ثم قال: «والآن عرفت كم هي محدودة».

تجاهلت كلامه وقالت: «يبدو مثيراً للاهتمام أن يبدأ ذلك المبشر بإثارة القلاقل في المنطقة الحدودية ما إن غادرت قوة حفظ السلام الدولية المنطقة. لو أنني من النوع المتشائم، لتساءلت إذا ما كانت الجمهورية المجاورة تأمل باستخدام تلك الفرقة الدينية لإثارة المتاعب، لتقوم بعدئذٍ باجتياح البلاد مدعية أنها تحميها من حرب أهلية أخرى».

أومأ غاي: «ما تقولينه هو كلام منطقي أكثر منه تشاؤماً، لا سيّما أن القوة العسكرية لسانت روزا ضعيفة، وهي تتألف من وحدات لا تثق ببعضها البعض بعد أن كانت تتقاتل في ما بينها خلال الحرب».

- هل تتوقع وقوع حرب؟

شرب آخر جرعة من كوبه قبل أن يضعه على الطاولة محدثاً طرقاً خفيفاً ويقول: «هيا، لنذهب إلى البلدة».

سألت لورين ببلاهة: «البلدة؟».

ارتفع حاجباه: «أنت أردت استخدام الهاتف، أليس كذلك؟ إنه في مكتبي في البلدة».

وعندما لم يسمع جوابها على الفور أضاف بنبرة ساخرة ملؤها التسلية: «سوف تكونين آمنة تماماً معي. لدي سمعة جيدة وأنا أود الحفاظ عليها».

لم يساورها أي شك بشأنه باستثناء خشيتها من تأثيره على هرموناتها. هزت كتفها بخفة ووقفت لتذهب برفقته.. لكن ليس قبل أن تتوقف في مكتب الاستقبال لتعلن للموظفة عن وجهتها.

علّقت حقيبتها على كتفها وقالت بابتسامة مشرقة: «من الأفضل أن أحل معي بعض المال».

وبعد أن أخرجت بعض النقود من الخزانة التي تحتفظ فيها بأوراقها الخاصة، ألقت بقميص مفتوحة فوق كتفيها.

فتح لها غاي الباب وعلى وجهه نظرة تسلية: «ما الحاجة إلى المال؟ فالمحلات لا تفتح أبوابها في وقت متأخر من النهار. وحتى لو كانت كذلك، فأنا أشك أن تجدي فيها ما تودين شراءه».

شعرت بالانزعاج، لكنها ابتسمت له أروع ابتسامة، وامتلأ قلبها بالسرور ما إن رأت عينيه وقد أصبحتا داكنتي اللون. خرجت من الباب أمامه وهي تقول بنعومة: «سوف أفاجئك».

٢ - أشباح الظلام

بدا لها أن شاحنة غاي يمكنها أن تسير على سطح المريخ. فهي شاحنة من طراز لاندروفر لا تحتوي إلا على ما هو ضروري فقط. ولم يكن فيها مكيف هواء بالطبع، لكن لا بأس بذلك، إلا أنها فوق ذلك بلا نوافذ.

قالت لورين وهي تبتسم بلطف مبالغ فيه: «على الأقل، ليس فيها ثقوب أحدثتها طلقات نارية».

قال غاي برقة: «ذلك لأنني انتزعتها منها».

وفتح لها الباب الأمامي ثم تابع يقول: «لكن من المحتمل أن تجدي فيها صراصير».

ابتسمت له من جديد وهي تمنع نفسها من البحث عن تلك الحشرات فيما هي تنتظره ليستقل الشاحنة. فوجئت عندما أدار غاي المحرك، فتلك الشاحنة القديمة المغطاة بالصدأ تسير كأنها في حلم. وكان والدها الشغوف بالمحركات قد علمها كيف تميّز المحرك الجيد.

بدا غاي الفلاني أو فلان غاي - كما ذكرت نفسها بحيرة - مألوفاً للسكان المحليين، إذ راح معظمهم يلوحون له بفرح ما إن يحييهم مطلقاً بوق الشاحنة.

استدارت لتحدق بولدين يمسكان بأيدي بعضهما البعض إلى جانب الطريق.

- هل وُلد هذان الولدان وهما يحملان المنجل فوق أكتافهما؟ يبدوان

www.rommancia.com

صغيرين جداً لحمل آلة خطيرة كهذه والتنقل بها.

– لقد تعلما استخدامها ما إن بدءا بالسير على أقدامهما.

صدمتها نبرة صوته اللامبالية، وراحت تركز اهتمامها على الغابات والجبال الممتدة أمام ناظريها. بدت السماء الزرقاء موشحة باللون الأحمر ما يدل على اقتراب الغسق. ما إن وصلا إلى البلدة الصغيرة، التي تقع على بعد بضعة أميال من الطريق المؤدي إلى المنجم وإلى المطار حتى بدت الشوارع مقفرة ما أضفى على الجو مسحة من الغموض والتشاؤم.

توقف غاي في الشارع الرئيسي الوضيع أمام المبنى الوحيد الذي يحتوي على متاجر. وقال باقتضاب: «إنه موعد العشاء».

ثم رمقها بنظرة غامضة وهو يتابع: «في مثل هذا الوقت تحضّر النساء الطعام أما الرجال فيرتاحون من عناء النهار».

رافضة أن تستسلم لمحاولته إزعاجها، هزّت لورين كتفيها وفتحت الباب لتخرج من الشاحنة. أشار غاي إلى مجموعة من السلالم التي تظهر بوضوح من الشارع وقال: «يقع مكتبي في الطابق الأول».

لاحظت لورين نظراته المتفحصة إلى الشارع والسلالم معاً، وأدركت أن هذا الرجل يعرف كيف يتعامل مع أي نوع من التهديد. ثقته الكبيرة بنفسه أبعدت عنها المخاوف، مع أنها لم تكن لتسمح لنفسها بإظهارها أصلاً.

مكتب غاي هو عبارة عن غرفة واسعة مرتبة ونظيفة، وبدا أنه وضع جميع أغراضه في خزنة حديدية مقفلة. ما إن رآها غاي تنظر حولها فقال: «لإبعاد الحشرات واللصوص».

وأخيراً، تمكنا من الاتصال برئيس القرية. تحدثت لورين إليه لعدة دقائق، وهي تبذل جهداً كبيراً كي تفهم لغته المتعثرة. وأخبرها الرجل بفخر أن خطة استخراج الزيت تسير على ما يرام، وأن الزيت المستخرج سيتم إرساله ليتحول إلى صابون أو إلى أنواع أخرى من مستحضرات التجميل في

نيوزيلندا، كما أخبرها عن المدرّس الذي سيأتي للعيش في القرية ما إن يتم بناء المدرسة. فقالت: «سأنقل هذه الأخبار إلى الشخص الذي أرسلني، لكن قيل لي إن الذهاب إلى القرية ليس فكرة جيدة في الوقت الحاضر».

قال الرجل بحزن: «كلا، سيدتي. إنها ليست فكرة جيدة على الإطلاق. هناك عدد من الأوغاد في المنطقة الآن، عودي في السنة القادمة عندما يستتب الأمن من جديد».

قال غاي وكان يقف بالقرب منها: «أود التحدث إليه من فضلك».

أعطته لورين السماعة، وسارت نحو النافذة ثم راحت تنظر إلى الشارع المليء بالأوساخ: مازال هذا الشارع يبدو مقفراً ومخيفاً، إلا من كلبين صغيرين يسيران وهما ينظران حولهما.

نظرت خلسة إلى غاي الذي بدا أنه يطرح العديد من الأسئلة، إلا أن تعابير وجهه لم تنبئها بأي شيء. وفكرت بقلق أن هذا الرجل يبدو كبيراً في كل شيء. كل ما فيه يدل على قوة طاغية فكرية وجسدية معاً.

ما إن انتهى الحديث حتى وضع غاي الهاتف في جيبه وقال بلهجة مهذبة: «كل شيء يبدو هادئاً هناك. يقول رئيس القرية إن ذلك المبشّر ذهب مع أسرته إلى أعالي الجبال.. لقد حصلت وفاة هناك».

قالت لورين بمرح: «يمكننا إذن أن نتنفس من جديد».

وشعرت بالصدمة لإدراكها أنها كانت تشعر بالتوتر. أما غاي فقال بنبرة جافة: «لم أتوقف عن القيام بذلك».

ثم فتح الباب ليخرجا. سارت لورين إلى الخارج وقد شعرت بالارتياح، فتقدمت غاي نحو العتمة وهي تقول من فوق كتفها: «أشعر بالسعادة لأن بإمكاني أن أخبر صديقي أن مشروع زيت البندق يسير نحو الأفضل».

وبعد قليل، أضافت بثقة أكبر: «مع ذلك، كنت أتمنى لو أنني تمكنت من رؤية ما يقومون به».

أقفل غاي الباب خلفهما ثم علّق بفظاظة: «لديهم ما يكفي من المشاكل ليقلقوا بشأنها ولا ينقصهم القلق على سلامتك. ما هي خطتك الآن؟».

قاومت رغبتها الشديدة والخطيرة معاً في البقاء لعدة أيام في المنتجع، وقالت بسرعة: «سأغادر إلى نيوزيلندا في أقرب فرصة ممكنة. سأذهب غداً إذا تمكنت من الحصول على مقعد على الطائرة المتوجهة إلى هناك».

ولدهشتها، عاد غاي ليفتح باب مكتبه من جديد، ثم قال: «ربما تتمكنين من ذلك. لكن لا تعتمدي على هذا الأمر. هنالك طائرتان فقط يومياً، بالإضافة إلى طائرة تقوم برحلتين في الأسبوع إلى فالانو».

- أين تقع فالانو، فأنا لم أسمع بها من قبل؟ هل هي بلدة أخرى في سانت روزا؟

- لا.

عاد إلى المكتب ثم حمل سماعة الهاتف وضغط على عدة أزرار وهو يتابع قائلاً: «إنها مجموعة من الجزر الجنوبية، وهي جزء صغير آخر من مناطق المحيط الهادىء».

- بكلمات أخرى، من الجهة الأخرى من العالم.

- أو من الجنة. وهذا يعتمد على طريقة رؤيتك للأمور.

قال ذلك وقد ظهرت السخرية بوضوح في كل كلمة من كلماته. راح ينظر إليها وقد علت وجهه نظرة غامضة وابتسامة ملتوية، ثم أضاف وهو يتعمد التشديد على كلماته: «لكنها جميلة بشكل لا يصدق».

علا الاحمرار خديها وشعرت بتقلص غريب في داخلها، فابتلعت ريقها بصعوبة، وفي تلك اللحظة بالذات، فكرت بالمنزل المخصص للعطلات والذي يملكه أخوها في نيوزيلاندا. إنه منزل هادىء، جميل ويسوده السلام. واعترفت لنفسها أنها بدأت، منذ وقت قصير، تتمنى أن تكون هناك وهي لا زالت كذلك.

وسألته: «بمن تتصل؟».

- الرحلة الأخيرة إلى آتو قد غادرت للتو، لكن لا بد من وجود أحد الموظفين في المطار. سأحجز لك على متن أول طائرة مغادرة.

شعرت بالانزعاج بسبب رغبته القوية في التخلص منها، لكنها قالت بمرح: «شكراً لك».

ويبدو أنه حظي بأحد الموظفين في المطار، شخص يدعى جوزيف، تحدث معه غاي باللغة المحلية. وعندما أنهى الاتصال، نظرت إليه لورين مستفسرة، فقال: «حجزت لك مقعداً على الطائرة التي تغادر بعد ظهر الغد».

ابتسمت له بتكلف وتمتمت: «إنه لطف منك».

افترّ فمه عن ابتسامة أظهرت أسنانه البيضاء، وقال بخفة: «إنه من دواعي سروري. والآن، بما أن المطعم الصيني قد أقفل أبوابه، يمكننا العودة إلى المنتجع لتناول العشاء أو يمكنني أن أدعوك إلى تناول العشاء في منزلي».

أجابت لورين على الفور: «إلى المنتجع».

لكنها توقفت عن الكلام عندما أدركت أنه يتلاعب بها. التقت عيناها بعينيه اللتين بدت فيهما التسلية وفكرت بسرعة: ولمَ لا؟ سوف تغادر في الغد، فلِمَ لا تقبل دعوته إلى العشاء، وهو الرجل الأكثر غموضاً بين من قابلتهم في حياتها؟.

من المؤكد أن ليس هناك شيء مشترك بينهما، وعندما تعود إلى ديارها سوف تتساءل ما الذي يجذبها إليه كي تشعر بهذا التيار الكهربائي بينهما.

أرادت أن تتأكد أنه لا يفكر باصطحابها إلى السرير، فقالت: «مع أن السهرة لن تكون طويلة، فأنا لم أنم سوى لساعتين فقط في الأربع والعشرين ساعة الأخيرة. وأنا أشعر بالإرهاق».

أدرك غاي تماماً ما الذي تقصده، فالتوى فمه بابتسامة ساخرة وهو يفتح

لها الباب ثم قال: «سأوصلك إلى باب غرفتك ما إن تتثاءبي مرة واحدة، وذلك في غضون دقيقتين. انتبهي أين تضعين قدميك».

أمسكت لورين بالدرابزين فيما هما ينزلان السلم، وكانت تسمع وقع خطواتهما على الأرض العارية. قالت برزانة وهما يسيران نحو الشاحنة: «أصبح الهواء منعشاً بعد أن حلّ الظلام، مع أنه لم يصبح أكثر برودة. يمكنني أن أشم رائحة الأزهار دون أن تشوبها أي روائح فاسدة».

قال وهو يفتح باب الشاحنة: «هذه هي المناطق الاستوائية.. تظهر الجمال في حالته الطبيعية الصرفة».

صعدت لورين ثم راحت تراقبه وهو يدور حول مقدمة الشاحنة.

حذرت نفسها بصمت: اهدأي، التصرف بطيش ليس من صفاتك!

ما إن أصبحا في منتصف الطريق إلى المنتجع حتى قال غاي: «من المؤسف أن تغادري الساحل الجنوبي دون أن تتمكني من رؤية سبب شهرتنا الأساسي».

سألته بحذر: «وما هو؟».

- الشلال.

عاد التهور ليتغلب على فطرتها السليمة، فقالت: «حسناً» لكنها شعرت بالندم على الفور لتلفظها بتلك الكلمة.

دفع غاي بالشاحنة بين صفين من الأشجار، وفي غضون ثوانٍ أصبحت الطريق عبارة عن مجارٍ وعرة. ومع ذلك، راح يلتف بالشاحنة حول الحفر بمهارة ما جعلها تحسده على مهارته تلك في القيادة. تشبثت لورين بمقعدها وراحت تنظر حولها بعدم ارتياح. عتمة الليل حولت النباتات إلى أشكال مغايرة كأنها كائنات خطيرة تهدد بالخطر.

أوقف غاي الشاحنة تحت شجرة ضخمة تتدلّى أغصانها لتصل إلى الأرض، ما جعلها تبدو كخيمة فوق الشاحنة. وما إن أوقف المحرك حتى

فتحت لورين الباب وقفزت إلى الخارج. قال غاي بحدة: «من هنا».

اعتادت عينا لورين على الظلمة فيما هما يسيران باتجاه ذلك الصوت الثابت والذي ينشر الانتعاش في المكان بوضوح وهو يوشوش وشوشة ناعمة عبر الهواء الرطب. وقف غاي وقال لها: «أنظري».

كان الماء يتساقط من مكان مرتفع، تتلألأ قطراته تحت ضوء النجوم، لتتناثر بعد ذلك على الصخور المبعثرة في الأسفل. وحول تلك الصخور تعالت أشجار النخيل وقد بدت أغصانها واضحة تحت ضوء القمر.

قالت لورين بنعومة: «إنه منظر رائع.. لم أدرك أننا قريبان جداً من الشاطىء».

بالقرب منهما، هناك بحيرة واسعة تترقرق مياهها فوق منحدر صخري آخر لتستقر في جدول صغير يسير بضع مئات من الأمتار حتى يصل إلى البحر. ومن خلال أوراق جوز الهند الكثيفة، استطاعت لورين رؤية تكتر المياه على الشاطىء، كما رأت المنظر الرائع للخليج الواسع.

جمال المكان ولّد فيها إحساساً غريباً، لقد أيقظ لديها شوقاً لم تخبره من قبل.. رغبة قوية في التخلص من فخ الحضارة المزيفة، والاستسلام التام لإغراء سحر هذه المنطقة من العالم.

كان القمر يلوح في الأفق، ونوره الفضي ينعكس على المياه المتساقطة فيحولها إلى شلال من النور.

أخذت لورين نفساً وقالت: «آه! إنه جمال نادر حقاً.. كأنه شلال من النار. شكراً لك لاصطحابي إلى هنا».

وعندما لم تسمع ردّه، رفعت بصرها نحوه. كان غاي يراقبها وقد انعكس ضوء القمر على وجهه فبدت ملامحه واضحة تماماً. بدا فمه مشدوداً وقد منحته عظام خديه المرتفعة والتي توحي بأصله السلافي مظهراً بدائياً غريباً، ما جعله يشبه حقاً ذلك المغامر الذي تخيلته من قبل.. رجل صلب

العزيمة ذو قوة مخيفة.

جف حلقها، فاستدارت لتبعد نظرها عنه باتجاه المياه البعيدة المتساقطة، حاولت أن تبدد توترها عن طريق الكلام، فقالت: «مع أن انعكاس نور القمر أمر عادي ومألوف، إلا أنه يؤثر بي دوماً، لكنني لم أر في حياتي منظراً كهذا.. يبدو كنسيج من الذهب الخالص، وكأن الضوء يخترقه من الخلف».

- إنه كما تقولين، أعجوبة الطبيعة.

أمسك بذراعها وسار بها على الضفة، ولم يكن ضوء القمر قد وصل بعد إلى البحيرة، فبدت أمامهما كدائرة من الزجاج. أضعفت لمسته مقاومتها واخترقت دفاعاتها لتحولها إلى كتلة من النبض الملتهب. راحت تحدق في صفحة المياه السوداء المصقولة وهي تشد عضلاتها في محاولة لاستعادة السيطرة على نفسها. لم يقل غاي شيئاً، لكنها شعرت بأنفاسه تتغير وسرى بينهما تيار من التوتر.

- هذا الجدول ينبع من أعالي الجبال، لذا فإن مياهه باردة.

مع أن صوته جاء هادئاً إلا أنه بدا محمّلاً بنبرة مثيرة. شعرت بالحرارة تتجمع عند فم معدتها لتعود وتنتشر في كل أنحاء جسمها. وفكرت بتوتر أن عليها التخلص من هذا الاحساس.. وتذكرت أن المياه باردة، فتقدمت قليلاً لتضع يدها في الماء. لكنها سحبتها بسرعة وقد شعرت بلسعة البرودة في أصابعها.

- إنها باردة كالثلج!

شيء ما في صمته أثار قلقها. بدا وكأنه ينحني فوقها.. كأنه يهددها. وقفت بسرعة وتراجعت خطوتين إلى الوراء. وعادت تراقب خفوت الضوء على مياه الشلال فيما غدا القمر أكثر ارتفاعاً في السماء. شعرت بنبضاتها تتسارع وبالحرارة في كل خلية من خلايا جسمها بسبب الرجولة الطاغية لهذا الرجل الغريب الذي يقف بالقرب منها.

- إنه منظر فائق الجمال.

حاولت أن تبدو عملية بكلامها وتابعت بنبرة عادية: «شكراً لأنك أحضرتني إلى هنا».

قال من دون أن يحمل صوته أي تعبير: «ذلك من دواعي سروري. والآن، هل يمكننا الذهاب؟».

أومأت موافقة وسارت نحو الشجرة حيث تقف الشاحنة. قبل عدة خطوات من الأغصان المتدلية، توقف غاي عن السير وأخذ يصغي بانتباه، وإذا بظل قارب يلوح في الظلام. أجفلت كايت ولم تعد تشعر بالارتياح، وفتحت فمها لتسأله ما الأمر، فسارع إلى وضع يده على فمها ليمنعها من الكلام.

فكرت وهي تقاومه بعنف: يا إلهي! كم أنت حمقاء، لورين بورترا.

دفعها غاي إلى مكان أشد ظلمة مبقياً يده على فمها، ثم ثبتها إلى جذع الشجرة. شعرت بقوة جسده، فمع أنه لم يؤذها إلا أنه تمكن من تثبيتها بين جسمه وجذع الشجرة بسهولة.

عليها أن تفكر بسرعة، فتحاول السيطرة على الخوف الذي يعمل على تعطيل دماغها.

همس غاي في أذنها: «سمعت أصواتاً، لكنني لا أرى أحداً».

أجفلت لورين وأخذت تصغي علّها تسمع شيئاً، لكنها لم تسمع سوى صوت الشلال يتدفق برتابة. أخيراً، قال غاي بنبرة تسم بالبرودة: «ابقي هادئة ولا تصدري أي صوت».

نظر إليها بعينين واسعتين فيما كانت يده القاسية تجبرها على الصمت، فهزت رأسها موافقة. عندئذٍ، خفف من ضغط يده. وفي تلك اللحظة كوّرت لورين أصابعها لتغدو كالمخالب ودفعته من صدره، ثم فتحت فمها لتحاول الصراخ. وسرعان ما عادت يده تضغط على فمها بقوة أكبر، ثم قال بصوت

أرعبها: «اصمتي!».

حاولت لورين أن تقاومه بأسنانها وأظافرها، فراح يهزها بعنف جعلها ترتجف: «تباً لكِ! اصغي، ما الذي تسمعينه؟».

خلف صوت تدفق المياه الرتيب سمعت بضعة أصوات، أصوات رجال ينشدون أغنية ما.. ثم أصبح الصوت أعلى وأكثر وضوحاً. جف حلقها من شدة الخوف والتوتر وشعرت بالأدرينالين يندفع إلى كل خلية من خلايا جسمها. وفي تلك اللحظة تبدّل خوفها منه إلى خوف على حياتها من أولئك المجهولين.

حدسها وليس المنطق أو الحكم الجيد على الأمور هو ما جعلها تقرر الوثوق به. همس غاي في أذنها: «لا تتحركي، ولاتقولي أي شيء».

أومأت موافقة، وإذا به يبعد يده عن فمها ببطء وحذر. على الرغم من قامته المديدة كان يتحرك بصمت كالهر. فوقف أمامها ليحميها من أي خطر قد يتعرضان له، وقد أدركت لورين ذلك بوضوح. شعرت بالخوف عليه وهو يحميها بجسده، وأصبحت كقطعة من الجليد وهي تسمع دقات قلبه القريبة التي أشعرتها بالأمان.

ابتعدت الأصوات عنهما، لكن غاي بقي دون حراك للحظات، ثم ابتعد عنها أخيراً ما جعلها تشعر بالارتجاف. وهمست: «من..؟».

لكن نظرات غاي القاسية أوقفت الكلمات في حلقها. كان ينظر نحو البحر، ثم رأته يتحرك بخفة مبعداً أغصان الشجرة المتدلية التي تظللهما. قال بصوت منخفض: «نعم، إنهم هناك.. هل يمكنك رؤيتهم؟».

بدا أولئك الأشخاص على بعد مسافة منهما، وكانوا يقتربون من الشاطىء وقد انعكس ضوء القمر على أجسادهم. كانوا حوالى العشرين رجلاً وهم يحملون الرماح. قال غاي بهدوء: «انظري إلى البحر».

ضاقت عيناها وراحت تنظر إلى حيث يتوهج نور القمر، وإذا بها ترى

أشكالاً سوداء صغيرة الحجم متوقفة في عرض البحر. فهمست: «أهذه زوارق؟».

- إنها زوارق خشبية تستخدم لنقل الموز وهي مزودة بمجاذيف، لكنهم لا يستخدمونها الليلة لهذا الغرض. كما أنهم قادمون من الجهة المعاكسة.. وهم يتجهون نحو المتجع.

ثم تابع وكأنه اتخذ قراره: «تعالي، علينا مغادرة هذا المكان. اصعدي إلى الشاحنة، لكن لا تقفلي الباب قبل أن أدير المحرك. وبعد ذلك اجلسي في أسفل المقعد».

أطاعته لورين وهي تشعر بأنها مخدرة الإحساس. وما إن تحركت الشاحنة من تحت الشجرة، حتى اقفلت الباب وراحت تصلي كي لا يجدا أحداً بانتظارهما في ذلك الممر الضيق الملتوي.

بدا لها أن غاي يملك قدرة على الرؤية في الظلام كالضواري. كان يقود الشاحنة بسرعة قصوى مخترقاً الظلام الدامس من دون أن يشعل أضواء السيارة. راح يسير بثقة تامة على الطريق مع أن لورين لم تستطع أن تتبيّن معالمها.

عندما غادرا منطقة الشلال والبحيرة السوداء سألته: «هل تعتقد أنهم سينضمون إلى السكان هناك أم سيحاربونهم؟».

قال بنبرة جافة: «لا أعرف، لكن الأغنية التي ينشدونها هي أغنية حرب».

كانت لورين تترنح فيما الشاحنة تتمايل ذات اليمين وذا اليسار لتنعطف عند زاوية أو لتقفز فوق حفرة أو أخدود. كان هناك إحساس كبير بالخطر يلفهما. وعندما أصبحا في مكان فسيح، اختلست نظرة إلى وجه غاي تحت ضوء القمر، ومرت في ذهنها لمحة أنبأتها بأنها تعرفه من قبل.. رأت في ذهنها صورة له، وسرعان ما اختفت تلك الصورة وغابت عن مخيلتها.

نظر غاي إليها فجأة، وأطلق شتيمة بلغة بدت لها لغة إيطالية قبل أن يأمرها بقوة: «اسحبي قميصي من تحت البنطلون».

- ماذا؟

علت تكشيرة ضارية وجهه وهو يقول: «اهدئي. ثيابك هذه تكشف عن بشرتك الناصعة البياض.. وذلك يجعلك واضحة جداً للعيان. خذي قميصي وارتديه».

- لكن ذلك يعرضك للرؤية.

- بشرتي أشد اسمراراً من بشرتك، لذا من الصعب أن يراني أي كان.

وتابع بلهجة آمرة وقد غادره المرح: «اسحبي القميص من تحت الحزام ثم ارفعيها إلى أبعد مسافة ممكنة، وسأقول لك متى يمكنك أن تسحبيها من فوق رأسي».

- بالتأكيد، عندما تتوقف..

قال بهدوء: «لن أتوقف، فأنا لا أعرف من هناك في الجوار. هيا اسحبي القميص».

صرّت لورين على أسنانها وهي تحرك أصابعها فوق جسمه المشدود الممتلىء بالعضلات. وما إن حرّر ذراعه حتى أمسكت القميص بيديها وانتظرت.

- سنصل الآن إلى جزء مستقيم من الطريق.. هيا، ارفعيها فوق رأسي الآن.

نزعت القميص الناعم من فوق رأسه بحركة سريعة.

قال يحثّها بفظاظة: «والآن، انزعيها من ذراعي الأخرى».

وسهّل عليها الأمر بأن راح يحرك جسده برشاقة ليتخلص من القميص، ثم قال بلهجة آمرة: «والآن، غطي جسمك بها».

رفعت القميص وأدخلت رأسها في قبتها، وزاد ارتجافها ما إن لامس

القماش كتفيها، لكن الإحساس بالدفء الذي تحمله من جسده جعلها تشعر بالأمان وتتخلص من الخوف. ومرة أخرى، قال غاي بنبرة آمرة: «اجلسي في أرض الشاحنة وابقي هناك إلى أن أقول لك متى تخرجين. غطّي وجهك ويديك. وإذا توقفنا لا تتحركي حتى أقول لك أنا أن تفعلي. كما عليك ألا تقولي أي شيء، وحاولي ألاّ تتنفسي أيضاً».

أطاعته وجلست عند أسفل المقعد وراحت تدعو إلى الله ألاّ يكون حدسها قد خدعها حين قررت الوثوق به. ثم سألته: «هؤلاء الرجال متوجهون نحو المتجع، أليس كذلك؟».

ولم يحاول غاي إخفاء الحقيقة: «هذا ما يبدو».

- هل تعتقد أنهم سيقدمون على أعمال عنيفة؟

ولم يجبها على الفور، فقالت تؤكد له: «لن أصاب بالإغماء أو بنوبة صراخ أو ذعر».

طمأنتها ابتسامته السريعة حين قال: «أنا أصدقك».

لكن تلك اللمحة السريعة من المرح اختفت بسرعة من وجهه لتحل محلّها تقطيبة قلقة وهو يحاول تجنب حيوان صغير يركض مسرعاً على الطريق.

أجفلت حين اصطدم مرفقها بأرض الشاحنة أما غاي فتابع يقول بهدوء: «لا فكرة لدي عمّا يخطط له قائدهم - أو قادتهم - لكن إذا وجدوا المتجع خالياً، فسوف يأخذون ما يرغبون به من ألوان الطعام والشراب ثم يعودون أدراجهم».

أومأت برأسها: «كم من الوقت يلزمنا للوصول إلى المتجع؟».

أجابها غاي وهو يحرك مقبض التحكم بالسرعة: «لن نذهب إلى هناك».

٣ - هو أو... السجن!

- ماذا؟

وعندما امتنع عن الإجابة، عادت تسأله: «ولِمَ لا؟».

قال بصوت مرتفع يعلو على صوت محرك الشاحنة: «لأنني سآخذك مباشرة إلى المطار».

قالت بصوت أكثر ارتفاعاً: «لكن علينا أن نحذرهم».

- لقد تم تحذيرهم. قد تبدو الغابة خالية، لكن العيون مفتحة في كل مكان، ولهذا السبب أنت تجلسين الآن على الأرض.

وألقى نظرة سريعة على وجهها الذي علته الصدمة: «لا فائدة من القلق بشأنهم، فأنا لن أعود إلى المتجع».

قالت بنبرة ملؤها الرعب: «لكن.. ماذا عن الأطفال؟».

أجابها بنبرة باردة متصلبة: «لا عليك، المتجع على اتصال مباشر بالشرطة، والطاقم الذي يعمل هناك سوف يجلي السياح ما إن يعلم بالهجوم».

- وإذا كان الأمر أكثر من مجرد مجموعة من الرعاع يهدفون إلى إثارة الغوغاء والحصول على أسرّة أوروبية الطراز وأجهزة تلفزيون؟

ثم تابعت بصوت أقرب إلى الصراخ: «وإذا كانوا مسلحين ومصممين على أذية الآخرين، ماذا سيحدث عندئذٍ؟».

تحركت لورين بانزعاج باتجاه المقعد، وأدركت أنها تشعر بالخوف لكن

خوفها لم يصل إلى مرحلة الرعب. تلك الهالة من القدرة التي تحيط بغاي جعلتها واثقة، بطريقة ما، أنه سيتمكن من إنقاذهم مهما يكن الخطر الذي سيواجههم، قالت: «أنت تخطط للبقاء وللقتال، أليس كذلك؟».

ولم يجبها، فعادت تقول بإصرار: «لماذا؟ هل أنت من سانت روزا؟».

قال بحدة: «لا!».

ولم يكن هناك أي أثر للقسوة في صوته وهو يتابع قائلاً: «لكنني أعرف الناس هنا جيداً ولدي الكثير من الأعمال في سانت روزا.. اخفضي جيداً».

وقبل أن تتمكن من التحرك، أطلق شتيمة ودفعها إلى الأسفل ثم ضغط على المكابح فتوقفت الشاحنة على الفور.

تكورت لورين حول نفسها، وراح قلبها يقفز بقوة في صدرها حتى إنها كانت تسمع ضرباته على الرغم من صوت المحرك. سمعت أصوات رجال قساة غاضبين، وعلى الرغم من شدة الحرارة راحت ترتجف كالورقة، فحاولت أن تهدىء روعها وتتنفس بطريقة عادية.

تكلم غاي مع الرجال بهدوء، وقد بدا صوته عادياً ولم يظهر فيه أي أثر للخوف. ثم ضحك أحدهم، فشعرت لورين ببعض الارتياح.

بعد قليل تفوه أحد الرجال بكلمات جعلت وجه غاي يتجهم ثم طرح عليهم سؤالاً آخر. بدا واثقاً جداً من نفسه ومسيطراً على الوضع جيداً، ما جعلها تشعر بالارتجاف عندما رأت أصابع يديه الطويلة تضغط بقوة على عجلة القيادة. شعرت بالتعب بسبب تكورها في ذلك المكان، لكنها لم تجرؤ على التحرك، حتى عندما انطلقت الشاحنة مبتعدة بعد عاصفة من الوداع الودي. وبعد مرور عدة دقائق، قال غاي: «حسناً، أصبحنا الآن بعيدين عن الأنظار. يمكنك الجلوس بارتياح، لكن ابقي رأسك منخفضاً».

جلست وهي تشعر بالتشنج في مفاصلها كلها، وراحت تحاول تحريك ذراعيها. ثم قالت: «من كان هؤلاء؟».

- إنهم من رجال الشرطة، وهم يقومون بجولات لأنهم يشكون في وجود لصوص في الأدغال، لذلك لن نقوم بأي مخاطرة. لقد تم إخلاء المنتجع وأصبح كل نزلائه في المطار.

- يسعدني أنهم جميعاً بخير.

ثم تذكرت أمراً ما فقالت: «لكنك قلت إن ليس هناك طائرات حتى صباح الغد».

قال بسرعة: «تمكن جوزيف، المدير المسؤول، من الاتصال بقائد الطائرة الذي سيقوم برحلة إلى فالانو، وقال إنه مستعد لنقل أي كان. ستجلسين في الممر لكنك ستصلين إلى هناك بأمان».

راح غاي يضاعف من سرعة الشاحنة ما جعل صوت المحرك يزداد قوة. ثم تابع: «المشكلة الوحيدة هي أنه يريد المغادرة في أقرب فرصة ممكنة. لذا تمسكي جيداً فلدينا عشرون دقيقة فقط لنصل إلى المطار».

فالانو؟ تجهم وجهها ما إن تذكرت ما قاله من قبل عن ذلك المكان: «مجموعة جزر». وقالت بصوت هامس: «لكن لماذا فالانو؟ ألا يستطيع السفر إلى العاصمة؟».

- الاتصالات مع بقية المدن في سانت روزا مقطوعة.

- لماذا؟

- لا أعلم. الاتصالات عندنا غريبة الأطوار في معظم الأوقات. من المحتمل أنها مجرد صدفة.

التف بالشاحنة نحو منعطف، ولم يعد هناك مجال للتحدث. شعرت لورين بالارتياح لفترة من الوقت لكنها ما لبثت أن سمعت صوتاً قوياً يعلو فوق صوت المحرك... إنه صوت انفجار مفاجىء تبعته طلقات نار عديدة. قال غاي شيئاً ما من بين انفاسه بتلك اللغة التي لا تفهمها. فسألته: «ما هذا؟».

أجابها غاي بهدوء: «إنه إطلاق نار، وهذا يعني أن هناك مشاكل حقيقية».

شعرت أن قلبها يسقط بين قدميها. رمقها غاي بنظرة سريعة وقال: «هدئي روعك، سوف أحافظ على سلامتك».

لم تكن لورين تشك بذلك، لكن ما جعلها تشعر بالخوف هو احتمال أن يصاب هو بالأذى وهذا أمر غريب، فهي بالكاد تعرفه. لِمَ عليها الاكتراث لسلامته؟ أخيراً قال غاي: «ها قد وصلنا».

أوقف المحرك، وراح ينظر باهتمام حوله كأنه حيوان مفترس يبحث عن فريسته، ثم قال باقتضاب: «ابقي مكانك».

وخرج من اللاندروفر بسرعة ثم توجه نحو الباب المجاور لها. عندما فتحه كانت لورين تحاول استجماع شجاعتها، وتأوهت متألمة عندماحركت ساقيها. أمسكت يدان قويتان بخصرها، ورفعها غاي عن المقعد ثم أوقفها على الأرض قائلاً: «لقد أبليت حسناً، آسف لأنك تعرضت لكل ذلك».

لم تستطع ساقاها أن تحملاها، وعندما تعثرت حملها وسار بها نحو الشخص الغامض الذي كان يقف بانتظارهما خارج المبنى الصغير. في تلك اللحظة، بدا لها أن إطلاق النار غير مؤذٍ وكأنه يشبه الألعاب النارية. شعرت بالأمان وهو يحتجزها بين ذراعيه القويتين.

أشار الرجل الذي كان ينتظرهما بيده، وقال شيئاً ما بسرعة. شعرت لورين أن غاي توتر مما سمعه، ثم وضع لورين على الأرض وقد أسند ذراعه حول كتفيها لمساعدتها كي تقف بارتياح. تراجع الرجل إلى الوراء بسرعة مفسحاً المجال أمامهما للدخول إلى قاعة الاستقبال. وقاعة الاستقبال هي عبارة عن غرفة صغيرة مكتظة بالضيوف القادمين من المنتجع. كان معظمهم يحملون أطفالاً يبكون أو يحدّقون حولهم بخوف واستغراب.

نظر الرجل الذي كان في انتظارهما إلى لورين وقال بلغتها: «جواز

السفر، من فضلك سيدتي».

قالت لورين بتوتر: «إنه ما زال في المتجع، في خزانة الودائع مع بطاقتي الشخصية وبقية أوراقي».

ظهرت الصدمة على وجه الرجل المتقدم في السن: «إنني آسف سيدتي، لكني..».

قاطعه غاي بصوت عميق خشن: «جوزيف، ما من وقت الآن للإجراءات الرسمية. أنت تعلم أنها لا تستطيع البقاء هنا».

من الجهة المقابلة للمبنى سار نحوهم رجل يرتدي بذلة قائد الطائرة. قال الرجل وهو يبتسم ابتسامة عريضة: «غاي! قدّرت أنني سوف أراك هنا! أنت لا تظهر دون فتاة فاتنة إلى جانبك، أليس كذلك؟».

صافحه غاي، وأخبره ما الذي حدث معهما بالضبط. تجهّم وجه الرجل وقال: «سيدي، لا أستطيع أن آخذها معي إلى فالانو دون أوراق ثبوتية! أنت تعلم أنهم لن يسمحوا لها بالدخول إلى البلدة.. إنهم مصابون بالذعر منذ حادثة الممنوعات المشهورة».

قال غاي بفظاظة: «ستأخذها معك، فليس هناك أي بديل آخر».

تجهّم وجه جوزيف وقال باهتمام: «لا يمكنها السفر إلى فالانو دون أوراق ثبوتية».

فقال غاي بصوت يكاد يشق الصخر: «ستغادر سانت روزا حتى لو اضطررت إلى اختطاف طائرة».

نظر القبطان إلى وجه لورين الذي بدا عليه الإجفال ثم أبعد نظره ثانية، ثم قال: «أنت تعلم ما الذي سيفعلونه بها غاي. سيضعونها في السجن مع النساء الفاسدات والمدمنات. ولن تتمكن من الخروج إلا إذا كان هناك من يكفلها أو إلى أن تتوفّر أوراقها الثبوتية. وهذا الأمر يستغرق أسابيع في فالانو، فكل المعاملات تمر عبر فيجي. والآن، لو أن الأمر يتعلق بك غاي،

لكان ذلك مقبولاً. فهم يعرفونك وسوف يدعونك تدخل البلدة دون جواز سفر».

قالت لورين: «اسمعوا.. لا بأس بذلك، لا تقلقوا بشأني».

حدّق الرجال الثلاثة بها بنظرات متشابهة ثم نظروا إلى بعضهم البعض. وفجأة قال غاي: «لا تكوني حمقاء».

كان عارياً حتى خصره، وبدا كمحارب بربري تحت الضوء الذي ينعكس على صدره وبشرته السمراء وكتفيه العريضتين وذراعيه القويتين، أما ذقنه غير الحليقة فكانت تبرز حضوره القوي. قال من بين أسنانه: «جوزيف، أنت رجل دين في هذه المنطقة، أليس كذلك؟».

نظر إليه جوزيف باستغراب وقال موافقاً: «نعم، أنا كذلك!».

- حسناً، إذن يمكنك أن تزوّجنا وسأكون أنا كفيلها.

انفجر قائد الطائرة بالضحك: «نعم، هذا يحل المشكلة. أنا واثق أنك تصل إلى أهدافك دوماً غاي».

ثم نظر إلى ساعته وتابع قائلاً: «لكن من الأفضل أن يتم هذا الزواج في أسرع وقت ممكن، فأنا سأرحل بعد عشر دقائق لأن أصوات إطلاق النار تقترب».

شهقت لورين وقد شعرت بالرعب: «هذا مستحيل، فأنا لا أعرف حتى اسمك».

قال غاي بلا مبالاة: «غاي باغاتون».

وأضاف بفظاظة: «كما أنه ليس لديك خيار آخر».

ثم أومأ لمدير المطار وتابع: «حسناً جوزيف، لنقم بتلك الإجراءات ونتهي من المسألة».

فجأة، علا صوت انفجار اسكت جميع من في الغرفة تلته هزة قوية جعلتهم يشعرون أن الأرض تتحرك تحت أقدامهم. وإذا بقائد الطائرة يطلق

شتيمة ثم يخرج من المبنى.

أرشد المسؤول في سانت روزا المسافرين للوقوف والسير قائلاً بسرعة: «من فضلكم، سيروا في خط واحد. النساء والأطفال أولاً... من فضلكم».

سارت المجموعة الصغيرة خلف القبطان في خط واحد عبر مهبط الطائرات المغطى بالعشب. قال غاي بسرعة: «هيا جوزيف لنذهب، لا وقت لدينا».

وأمسك بذراع لورين بطريقة عملية ليسيرا بسرعة وراء المدير المسؤول الذي توجه إلى مكتب صغير. وهناك، قال جوزيف: «سيدتي إنني رجل دين هنا في المنطقة. لكن ربما لن يكون هذا الزواج قانونياً إلا في سانت روزا. ومهما يكن الأمر، فإن هذا الزواج سيسمح لك بالخروج من هنا دون المخاطرة بأن يضعوك في السجن في «فالانو».

اعترضت لورين قائلة: «اسمع، لا أظن أن السجن سيكون بهذا السوء، كما أن الحصول على جواز سفر من بريطانيا لن يستغرق وقتاً طويلاً. وفي مطلق الأحوال، كيف تعرف أنهم سيسمحون لي بالدخول إلى البلدة حتى لو تم هذا الزواج؟».

أجاب غاي: «ثقي بي».

بدت تعابير وجهه مليئة بالعزم والتصميم وهو يتابع قائلاً: «سوف يفعلون ذلك. صدقيني، السجون سيئة جداً في المناطق الاستوائية، وقد يستغرق الأمر عدّة أسابيع قبل أن تتمكني من الحصول على أوراقك الخاصة، هذا إذا سمحت لك السلطات في فالانو بالاتصال بالسفارة البريطانية في فيجي».

صوته المليء بالقوة وملامح وجهه القاسية أوقفت اعتراضها وهو يتابع قائلاً: «ليس عليك سوى أن تقولي «نعم» في الوقت المناسب، كي لا تبقي هنا

في دائرة الحرب. وإلاّ فسوف تعرضين كل من يحاول حمايتك للخطر».

حجته الواضحة هذه أقنعتها، فعلا الشحوب وجهها وقالت: «وأنت، ماذا ستفعل؟».

- لا تقلقي بشأني.

وفجأة امتلأ رأسها بمشاهد عن الحروب سبق أن رأتها على شاشة التلفزيون، فراحت تصلي بصمت كي لا يصيبه مكروه. وما لبث غاي أن قال بنبرة ساخرة: «لا تقلقي، هذا الزواج سيقنع المسؤولين هناك أنك لن تقضي حياتك وأنت تأكلين وتشربين على حسابهم».

وسحب من إصبعه الصغيرة خاتماً ذهبياً يحمل ختمه، ثم أدارها لتواجه جوزيف.

أثناء القيام بإجراءات الزواج شعرت كأنها إنسانة آلية. أصابها الارتجاف عندما وضع غاي الخاتم في إصبعها، لكنها أمسكته جيداً لأنه كان كبيراً جداً. أخيراً قال جوزيف: «يمكنك أن تقبّل العروس».

وراح يشغل نفسه بالأوراق أمامه.

ظهرت ابتسامة ماكرة على وجه غاي والتمعت عيناه، ثم تمتم قائلاً: «لو علمت أنني سأتزوج اليوم لحلقت ذقني».

وعانقها.. لم يكن عناقه سريعاً أو متردداً، بل عناقاً متملكاً بدّد كل مخاوفها وحرّك الشوق في حناياها. ولأنها لم تكن تعلم إن كان سيتمكن من البقاء حياً، وإن كانت ستراه ثانية، بادلته عناقه بكل ما لديها من عاطفة. بعد لحظات، أبعدها عنه وارتسمت ابتسامة عند زاوية فمه حين راح يكتب اسم أحدهم على ورقة صغيرة. ثم قال وهو يعطيها الورقة: «هذا اسم وكيل أعمالي في فالانو. اتصلي به ما إن تصلي إلى هناك وأعطه الأوراق التي كتبها جوزيف الآن، وسوف يجد لك مكاناً لتمكثي فيه. هل تحملين نقوداً؟».

قالت بإرهاق واضح: «لا».

فأخذ المحفظة من جيبه وأخرج ما فيها من الأوراق النقدية ليعطيها لها قائلاً: «هذه النقود تكفي لدفع أجرة الفندق لهذه الليلة».

ثم أضاف بمرح: «وهناك ستحصلين على مال كاف لشراء سارونغ جديد».

- قميصك!

أمسكت الأوراق النقدية باليد التي وضع فيها خاتمه، وبدأت تخلع عنها القميص. إلا أنه قال: «احتفظي بها فهي تعطيك مظهر لاجئة حقيقية».

تردّدت قليلاً ثم ابقت القميص على جسمها وقالت: «وأنت ماذا سترتدي؟».

قال جوزيف بكآبة: «سأعطيه إحدى قمصاني».

- سأتصل بك في أقرب فرصة ممكنة.

فملأت الدموع عينيها وسألته: «هل هذا وعد؟».

ضحك غاي وأمسك بيدها، ثم رفعها إلى فمه وطبع قبلة على ظاهرها وأخرى على باطن كفها، ثم ضم أصابعها وأطبقها كأنما أرادها أن تحتفظ بهذه القبلة. وقال كأنه يقسم لها: «أنا أحافظ دوماً على عهودي».

عندئذٍ تدخل جوزيف ليقول بنبرة جدية: «تعالي، سيدتي. أصبحت الطائرة جاهزة للإقلاع».

- هيا، اذهبي!

قال غاي ذلك وسار إلى الخارج حيث يسود الظلام دون أن يلقي نظرة واحدة إلى الوراء.

بعد مرور ساعة على تلك الأحداث، كانت الطائرة تنطلق فوق المحيط الواسع. حركت لورين الخاتم الذهبي الذي يحمل ختم غاي في إصبعها وهي تتساءل ما الذي يحدث الآن في سانت روزا!

وتمتمت تصلّي: «احفظه يا رب سالماً».

ومع اختفاء النجوم أمام ضوء القمر الساطع، وأمام أنوار الجزيرة المرجانية المتلألئة في الأفق، حاولت لورين أن تنسى ذلك الرجل الغريب الذي خلّفته وراءها.. رجل قابلته اليوم فقط، ربما هو الآن يكافح من أجل الحفاظ على حياته.. وحاولت بقوة أن تقنع نفسها بأنها لم تقع في الحب في غضون ثلاث ساعات فقط.

كانت مروحة السقف فوق رأس لورين تصدر أصواتاً مزعجة. حاولت أن تستجمع شجاعتها فقالت: «إذن، ما زلت لا أستطيع مغادرة فالانو!».

هزّ الموظف المسؤول عن السفر رأسه بأسف وقال: «أخشى أن ذلك صحيح، فالأمر معقد وصعب كما ترين. لقد أتيت إلى هنا من دون أوراق رسمية، ومع ذلك سمحنا لك بالدخول فقط لأنك متزوجة من رجل يملك شهرة واسعة في هذا المكان».

ونقر بإصبعه على الملف الموضوع على المكتب أمامه، ثم تابع يقول: «لكن الحصول على أوراق ثبوتية لك من بريطانيا استغرق أكثر مما توقعنا. وحتى يتم ذلك لا يمكنك مغادرة فالانو، لأن اتصالنا الوحيد مع العالم الخارجي هو عبر سانت روزا، وهم يقولون إنهم لن يسمحوا لك بالهبوط هناك من دون جواز سفر».

- قال والدي إن جواز سفري قد أرسل بواسطة أحد مرافقي السيّاح منذ يومين.

هذا الحديث بالذات راح يتكرر منذ ستة أيام مضت ما جعل لورين تشعر بالتوتر، لكنها تعلم أن الصراخ لن يحقق لها شيئاً. فالجميع هنا لطفاء وهم يحاولون مساعدتها، لكنها مصمّمون على اتباع القوانين بحذافيرها. لقد كان غاي محقاً..

ربما جرت الأمور بسرعة أكبر لو أن وكيل أعمال غاي كان هناك. لكنه سافر إلى سنغافورة في اليوم الذي سبق وصولها إلى فالانو، ولا يتوقعون عودته قبل مضي عدة أيام.

لحسن حظ لورين، بعد أن استلم الكاتب في مطار فالانو الملاحظة التي أرسلها غاي إلى السلطات المحلية، سألها أين تنوي الإقامة، وعندما اعترفت أن لا مكان لديها للبقاء فيه، اقترح عليها منزل أحد أبناء عمه. وما هي إلا نصف ساعة حتى كانت قد استأجرت غرفة في بيت بسيط يقع على الشاطىء، تحيط به النباتات والأزهار التي تفوح منها الروائح العطرية.

وضعت ابتسامة على وجهها ونهضت قائلة: «شكراً لك على المساعدة».

- آسف، لا أستطيع تسريع الأمور لأجلك. لكنني أتمنى لك أن تتمتعي بوقتك في جزيرتنا.

ثم توقف قليلاً عن الكلام قبل أن يتابع بحذر: «من المحتمل أن يتمكن أحد الصحفيين المتوجهين إلى سانت روزا من مساعدتك. إذا تحدثت إلى أحدهم قد يساعدك على الاتصال بأسرتك في بريطانيا».

يا إلهي، لا! لقد تعمّدت أن تتجنبهم في الأيام القليلة الماضية. ليس لأن الصحافة تهتم لأمرها بل لأنها الأخت غير الشقيقة لمارك كوربت، ومارك هو شخص معروف على الساحة الدولية. وهي لا تريد أن يقوم أحدهم بنبش الماضي فيكشف أسرار العلاقة العاطفية التي قامت بين أمها ووالد مارك. إن أي إشارة إلى هذا الموضوع سوف يسبب الإهانة لأمها والصدمة لوالدها، وقد يؤثر ذلك على صحته، رفعت يدها لتصافحه قائلة: «أنا أتمتع حقاً بأوقاتي في فالانو. كما أنك لطيف جداً».

ثم تابعت بنبرة صادقة: «لكنني أشعر بالقلق بسبب ما يجري في سانت روزا».

ظهر الحزن على وجه الرجل فهز يدها مصافحاً ثم قال: «نعم، الحرب هي أمر مخيف، ومن المؤسف أن نرى سكان سانت روزا يعانون ويلاتها من جديد. على أي حال، إذا كانت الأخبار التي سمعناها صحيحة، فقد تم دحر المهاجمين إلى ما وراء الحدود. كما أن قائدهم قد قتل».

وفكرت لورين أتلك إشاعة أم حقيقة! لكنها قالت بصوت منخفض: «أتمنى أن يكون ذلك صحيحاً».

سارت ببطء نحو كوخها، ذلك أن أشعة الشمس لا زالت شديدة القوة حتى في فترة بعد الظهر. ما إن وصلت إلى غرفتها ذات الجو المنعش حتى شعرت بالرضى فسكبت لنفسها كوباً من الماء البارد من البراد الصغير ووقفت في مطبخها الصغير المساحة لتشربه. أما كوخها فهو عبارة عن غرفة ذات سقف مرتفع مغطى بالقش، يتوسطها سرير ضخم تعلوه ستارة من القماش الشبكي الناعم، وضعت خصيصاً لإبعاد الحشرات التي تملأ الغرفة. وقد وضعت في الغرفة طاولة وعدد من الكراسي، بالإضافة إلى خزانة علقت في داخلها قميص غاي، بعد أن غسلتها وعلّقتها مع السارونغ الجديد الذي اشترته صباح اليوم التالي لوصولها إلى هنا.

خلال النهار كانت لورين تلف الحصير المصنوع يدوياً والذي يكوّن جدران الكوخ، ما يسمح لهواء البحر بتبريد المكان، أما في الليل فكان ذلك الحصير يؤمن لها الخصوصية. وفكرت لورين أن هذا المكان، رغم بساطته، يؤمن لها حاجاتها. راحت تجفف الكوب وهي تشعر بالارتياح، فهذا المكان نظيف ومريح. والأهم من ذلك كله فإنه زهيد التكلفة. فبعد الاتصال الهاتفي الذي أجرته مع أهلها في انكلترا، والذي كلّفها مبلغاً كبيراً من المال، بات عليها أن توفر كل قرش من النقود التي أعطاها إياها غاي. وبما أن النقود التي ستصلها من بلادها لا تزال بعيدة المنال فسوف تضطر للاستدانة من وكيل أعمال غاي عندما يعود من سنغافورة.

بالإضافة إلى رحلتها اليومية إلى مكتب السفريات للإطلاع على آخر المستجدات، كانت تقضي وقتها في السباحة وتحضير الطعام والتحدث إلى بنات صاحبة المنزل اللواتي هن في سن المراهقة؟ لسوء الحظ فإن هذه الحياة الكسولة تركت لها الكثير من الوقت لتتخيّل أن غاي باغاتون قد قتل..

ساورها شعور بأنها سوف تعلم إذا ما أصابه مكروه، وقالت بصوت

مرتفع «سيكون بخير».

ثم عادت تعنف نفسها: «أنت بالكاد تعرفينه».

ونزلت إلى البحيرة لتسبح علّها تزيل عنها آثار الغبار والعرق بعد عوتها إلى كوخها سيراً على القدمين. شعرت بالمياه تنساب على جسمها ناعمة كالحرير، أما نور الشمس الذي انعكس لونه الأرجواني على صفحة المياه، فحوّل بشرتها البيضاء إلى لون نحاسي.

وما إن عادت إلى المنزل حتى استحمت وغسلت شعرها، ثم ارتدت السارونغ الذي بدا جميلاً بألوانه الزاهية. عقدت الثوب فوق صدرها قبل أن تجلس على السرير لتمشط شعرها. اجتاحها شعور بالتوتر راح يتزايد كلما مرّرت أسنان المشط في خصلات شعرها. راحت تنظر حولها بين الفينة والأخرى. على أية حال، ما شعرت به ليس إحساساً بالخطر بل بالترقب.. كأنها تتوقع حدوث شيء ما.. لكنه شيء جيد، هكذا أنبأها حدسها..

تمتمت قائلة: «ربما سيصل جواز سفرك الجديد غداً».

أخفضت بصرها وراحت تنظر إلى يدها المضمومة؛ وبما أنها لم تكن تضع خاتم زواج فقد وضعت خاتم غاي في إصبعها الوسطى، ومع أنه ظل واسعاً على إصبعها، إلا أنه لا يقع بسهولة منها. كان الخاتم مصنوعاً من الذهب الخالص، وكاد النقش عليه أن يمحى. وفكرت أنه يشبه عرف الديك أو أحد أنواع الطيور.. هل هذه أجنحة على الجانبين؟

بدت الخطوط غامضة أمام الضوء الخافت، فحدّقت جيداً لتتمكن من الرؤية بوضوح أكبر، لكنها اضطرت أخيراً إلى التخلي عن تلك المحاولة.

مهما يكن الأمر، يبدو واضحاً أن لهذا الخاتم قيمة كبيرة عند غاي.

شاعرة بعدم الارتياح، أنزلت الحصير على جوانب الغرفة والذي هو بمثابة جدران لها. وشعرت فجأة برغبة في التثاؤب.

وإذا بها تسمع صوتاً مألوفاً من خلفها: «ماذا تفعلين هنا بحق الله؟».

٤ - المرأة الحلم!

وضعت يدها على صدرها كأنها تحاول تهدئة ضربات قلبها المتسارعة. وما إن استدارت حتى رأت جسماً ضخماً قد انعكس عليه ضوء الأفق الأحمر.. على بعد خطوات منها وقف غاي بوغاتون!

شعرت لورين بالارتياح وتراقص الفرح في داخلها، وفاجأتها حدّة مشاعرها هذه. قال غاي: «لِمَ لم تمكثي في المتجع؟».

حاولت الإبقاء على نبرة معتدلة في صوتها وقالت: «لا أملك ما يكفي من المال».

كان غاي يقف على بعد عشر خطوات منها تقريباً، ومع ذلك شعرت بنظراته تأسرها، بل شعرت كأنه يلمسها بيديه. تابعت تقول: «وكيل أعمالك في سنغافورة.. من المتوقع أن يصل غداً».

تمتم غاي بكلام جعل حاجبيها يرتفعان باستغراب.

- إذن، كيف تدبرت أمر النقود؟ النقود التي أعطيتها لك لا تكفيك لمدة أسبوع.

- تدبرت أمري.

فجأة بدا وكأن عينيها اعتادتا على الضوء الخافت فأسرعت نحوه وهي تشهق قائلة: «ما الذي حدث لك؟».

تجاهل غاي الضمادة التي تلف أعلى ذراعه، وقال باقتضاب: «لا شيء مهم، إنه مجرد جرح خلّفته رصاصة. وأنت كيف حالك؟».

قطبت حاجبيها وراحت تراقبه عن كثب ثم قالت: «أنا بخير».

كانت ذقنه لا تزال غير حليقة، ما جعل ملامحه الأرستقراطية تبرز بوضوح أكبر. كما بدا في عينيه نوع من التصميم المرير، كأنه أمضى الفترة الأخيرة وهو يكافح عبر الظروف القاسية.

شعرت بالتعاطف معه، فالتوى قلبها ألماً عليه. لم ترَ في حياتها رجلاً بمثل هذه الوسامة.. وسألته: «كيف عرفت أنني هنا؟».

رمقها بنظرة حادّة ثم أجاب: «لزمني بعض الوقت لمعرفة ذلك، وفي النهاية عرفت مكانك من شخص يعمل في خدمة المسافرين».

ثم نظر حوله وتابع قائلاً: «هذا المكان لا يناسبك».

- هل كشف الطبيب على ذراعك المصابة بطلق ناري؟

- نعم، إنها طبيبة وخزتني بحقنة واعطتني أدوية مضادة للالتهابات. إنه مجرد خدش بسيط.

ورفع يده كيساً من النايلون، أخذته لورين دون تفكير وهي ما تزال تنظر إلى وجهه بقلق. قال غاي بجفاء: «يمكنك فتحه، فجواز سفرك في داخله».

- جواز سفري!

وبسرعة فتحت الكيس فرأت غلافه المألوف لديها. نظرت إليه بسرعة ثم قالت: «هل عدت إلى المتجع؟».

ارتخى جفناه وقال: «لفترة قصيرة فقط. كان قد نُهب بأكمله، لكنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى الخزنة».

شعرت لورين بالتوتر والقلق في كل خلية من خلايا جسمها وقالت: «كيف.. هل الجميع بخير؟».

- لم يبق هناك أحد. لكن حسب المعلومات التي وصلتني، تمكن فريق العمل من النجاة.

وأنهى كلامه قائلاً: «لم يلمس أحد جواز سفرك، ولم يحصل له أي مكروه».

قالت بامتنان: «شكراً لك، إنه لطف منك أن تتحمل كل تلك المشقة».

وفجأة أدركت أن ذلك يعني أنه بات باستطاعتها مغادرة فالانو الآن.. عند وصوله تماماً. وغمرها إحساس خطير سرى في كيانها كتيار كهربائي خفي. إنه انجذاب قوي يشدها إليه. لقد شعرت بهذا الانجذاب منذ البداية، لكنه كان بدائياً وغامضاً. أما الآن، فهي تعرف غاي باغاتون أكثر فأكثر، وذلك التفاعل الكيميائي بينهما بات أكثر وضوحاً، وتحول إلى إحساس لا تجرؤ على التفكير به.

- أدخل.. لا، بل لنجلس في الخارج، فالطقس أكثر برودة هناك.

هذا صحيح، كما أنه أقل خصوصية، وتابعت: «تبدو بحاجة لشراب ما.. هناك بضع زجاجات من العصير في البراد».

بصوت أجش أطلق شبه ضحكة وقال: «امرأة مثلك هي حلم كل رجل».

سرى في كيانها تيار من الغبطة تتخلله حرارة مدغدغة. تناولت زجاجة من العصير وقالت بمرح: «ألأنني قدمت لك شراباً؟ لا أظن أن تقييمك للنساء يقف عند هذا المعيار المنخفض!».

أخذ الزجاجة من يدها، وفتحها بسرعة ثم أفرغ نصف محتواها في جوفه دفعة واحدة. فيما راحت لورين تشغل نفسها بملء كوب من عصير الفاكهة لتشربه. ثم استدارت نحوه لتجد أنه يراقبها بعينين ضيقتين حادتين، حتى كادت ترتمي مترنحة بين ذراعيه.

مرت لحظة ساد خلالها التوتر، وشعرت لورين بنبضات قلبها تطرق بقوة في كل عصب في جسمها. ثم قال غاي: «لا شيء يضاهي كوباً من العصير المثلج بعد عدة أيام من القتال في الغابات».

تنهّدت لورين بصمت وقالت: «لنجلس على الشرفة».

ألقى بثقل جسده على إحدى الكراسي وتنهّد من أعماقه لشدة الإرهاق الذي يشعر به ثم سألها: «هل واجهتك أي مشكلة في الدخول إلى فالانو؟».

- في البداية لم يسمحوا لي بمغادرة الطائرة.

ورشفت رشفة من العصير، ثم تابعت تقول: «بفضل وثيقة الزواج المزيف.. وبفضل قبطان الطائرة، اقتنعوا أخيراً بالسماح لي بالنزول. استغرق الأمر وقتاً طويلاً قبل أن يتمكن الرجل من إقناعهم بأنني تزوجت حقاً بك».

- متسكعو الشواطىء هم مصدر إزعاج حقيقي لسكان هذه المناطق. ولولا اللجوء إلى إجراءات قاسية لردعهم، لكانت الجزيرة مليئة بهم. فهم يأتون من كل أنحاء العالم ويلقون بأعبائهم على السكان المحليين، في الوقت الذي لا يملك فيه هؤلاء ما يكفيهم وأسرهم.

- اسمك كان له مفعول سحري.

أرادت بقوة أن تعرف ما الذي حدث في سانت روزا، لكن حدسها أنبأها بألاّ تتحدث عن ذلك الأمر، فتابعت تقول: «ليتك تعلم كم أنا ممتنة لك لقيامك بهذا الإجراء. لقد مررت قرب السجن في أحد الأيام، وأدركت على الفور أنك كنت على حق، إنه ليس مكاناً أستطيع البقاء فيه مطلقاً».

وتذكرت إصراره على منعها من الذهاب إلى القرية الجبلية، فقالت بمرح: «أراهن أن الصراصير هناك هي من الأنواع الخطيرة».

ابتلع غاي جرعة كبيرة من العصير ثم قال بنبرة خطيرة: «هناك لن يسلم أي ظفر من أظافر قدمك».

عكس ضوء المصباح الخطوط القاسية تحت خديه كما أظهر بوضوح جفنيه الداكنين اللذين يحجبان عينيه عنها. قاومت لورين رغبة قوية بأن تغمر رأسه وتضمه إلى صدرها. أبعدت بصرها عنه وراحت تحدق إلى السماء التي

غدت سوداء داكنة. سألته بصوت رقيق ينسجم مع رقة الأمواج التي تلامس الشاطىء بهدوء: «كم من الوقت ستبقى هنا؟».

ساد الصمت للحظات حتى ظنّت أنه قد استغرق في النوم. وأخيراً، قال بصوت يخلو من أي تعبير: «لقد انتهى كل شيء، ولم يبق سوى بضع عمليات تنظيف. لقد تمّ دحر المهاجمين فتراجعوا إلى قراهم بعد أن قتل العديد منهم أو تمت ملاحقتهم حتى الحدود. وسيطرت القوات الأمنية على كامل أراضي سانت روزا».

فقالت: «لا بد أن الوضع كان سيئاً».

قال بصوت منخفض: «سيء إلى أبعد الحدود... قتل حوالى ثمانون شخصاً، معظمهم من سكان القرى التي حوصرت أثناء القتال... لقد دمّرت المحاصيل وأحرقت معظم القرى كما قتل العديد من الأطفال.. إنها الآثار المعتادة للحروب».

شعرت لورين بأن قلبها يكاد يتمزق من الأسى فقالت: «أنا آسفة».

- لماذا؟ فالحرب ليست غلطتك.

وساد صمت قصير، ثم قالت لورين: «هل تبحث عن شخص يمكنك إلقاء اللوم عليه؟».

ضحكته العابقة بالحزن أرسلت الرجفة في أوصالها. وقف وهو يقول بصوت خشن: «ربما.. من الأفضل أن أذهب، فأنا لست في وضع يسمح لي بتبادل الأحاديث. كما أنه ليس من التهذيب بحث مثل هذه الأمور مع امرأة انكليزية رقيقة مثلك».

لم تحتمل لورين فكرة أن يعود محمّلاً بتلك الذكريات الأليمة إلى وحشة الفندق. وشعرت أنها تدور وتدور حول موضوع قد يغيّر حياتها، ولم تتمالك نفسها من السؤال: «هل لديك مكان تود العودة إليه؟».

قال بلا مبالاة: «سأحجز غرفة في المتنجع».

– وتخاطر بمواجهة مجموعة من الصحفيين الذين لم يتمكنوا من الوصول إلى الأماكن التي كان القتال يدور فيها؟

ثم تابعت بنبرة هادئة: «على الرغم من توقف القتال، أظن أنهم يتوقون إلى الذهاب إلى سانت روزا. متى تناولت الطعام لآخر مرة؟».

لم يجبها على الفور فظنت أن سؤالها فاجأه.. لقد فاجأها هي نفسها..

رفع غاي كتفيه العريضتين وقال: الله وحده يعلم!».

وعلى الفور هبت لورين واقفة على قدميها وقالت: «سأحضر لك ما تأكله».

وأدركت وهي تشعر بالغرابة أنها قامت باتخاذ قرار لم تجرؤ على مثله في حياتها من قبل.. لكن صوتها ظل هادئاً وهي تتابع قائلة: «لِمَ لا تستحم فيما أحضر أنا الطعام؟».

لم يتحرك غاي من مكانه ومع أن عينيها قد اعتادتا النظر في الظلام، إلا أنها لم تستطع تبيّن تعابير وجهه بوضوح. صمته ووجوده بقربها كانا كافيين لإثارة الرهبة في نفسها. إلا أن صوته بدا أكثر رهبة حين تكلم، فقد بدا عميقاً، خشناً، و... منذراً بالخطر، إذ قال: «لورين، هذه ليست فكرة جيدة».

أمسك ذقنها بيده النحيلة ثم قال وهو يضغط عليها برفق: «في حالتي هذه، لست بالتأكيد رفيقاً مسلياً. أشعر أنني بحاجة لنسيان نفسي».

شعرت بيده دافئة على بشرتها، إلا أن هذه اليد بدت قاسية ما يدل على أن صاحبها كان يقوم بعمل صعب وقاس. قالت بصوت حازم: «إذن، لن تندم غداً عندما تستيقظ بجسم نظيف ومعدة مليئة بالطعام».

قال بصوت ناعم كالمخمل: «في الواقع، أنت امرأة يتمناها كل رجل».

نظر إليها وكأنه يريد الوصول إلى أعماق قلبها وروحها معاً.. ثم قال: «لا أريد البقاء إن لم تكوني راغبة بذلك حقاً».

من المؤكد أنها ترغب برفقته. كما أنها متأكدة أنها ستشعر بالندم إن تركته يذهب إلى المتجع في حالته هذه. فقالت: «بل أرغب في بقائك».

هز رأسه موافقاً وتراجع إلى الوراء ليدعها تدخل أمامه. أضاءت لورين الغرفة ثم فتحت الخزانة لتعطيه القميص الذي أعارها إياه منذ عدة أيام. نظر إليها غاي متسائلاً وهو يمسك بالقميص، لكن نظرته غدت قاتمة حين سحبت الخاتم من إصبعها. شعرت بإصبعها بارداً وغريباً عنها، لكن يدها لم ترتجف وهي تعيده إليه قائلة: «شكراً لك».

– هل دعوتك لي الآن هي من أجل ذلك؟ أهي تعبير عن الامتنان لأنني أعدت إليك جواز سفرك؟ أم لأنني ساعدتك في الخروج من سانت روزا؟

وضاقت عيناه وهو يحدق بها حتى شعرت أن بإمكانه قراءة كل فكرة تدور في رأسها.

وضع غاي الخاتم في إصبعه الصغير وتوجه إلى الحمّام.

بقي في الحمام وقتاً طويلاً، حتى إن لورين تمكنت من تحضير وجبة من السمك والسلطة. وتساءلت إن كان يحاول تنظيف جسمه وفكره معاً من كل ما مر به في الأيام القليلة الماضية. راحت تصغي إلى تلاطم الأمواج الناعمة على الرمال القريبة وهي تحاول أن تحلّل ما تشعر به.

إن وجوده هنا هو بمثابة تحدّ لها، وهي قد قبلت التحدّي. خلف تلك الواجهة الصلبة من السيطرة على النفس كانت تشعر أن لدى غاي عاطفة متوحشة بدائية، ذكرتها بصورة المحارب التقليدي التي رأتها فيه يوم التقيا في سانت روزا. وأرسلت هذه الذكرى ارتعاشة غامضة في مختلف أنحاء جسدها. لكنها، مع ذلك، ليست خائفة منه. فغريزتها تنبئها بأنه لن يسبب لها أي أذى.

عضت على شفتها فيما هي تتابع تحضيرات العشاء. إنها ترغب بأن يبقى غاي لتناول العشاء لكن الأهم من ذلك هو أن الرجل يحتاج إلى امرأة تعتني به

بعد المعاناة القاسية التي مر بها:

عندما خرج غاي من الحمام مرتدياً القميص النظيف والبنطلون، كانت تجلس على الشرفة وقد وضعت على الطاولة كوباً من العصير وصحناً من الفواكه الطازجة. لم تسمع وقع خطواته وهو قادم من خلفها، لكن حدسها دفعها كي تبعد نظرها عن فراشة كانت تراقبها. ما إن رأته حتى كاد قلبها يتوقف في حلقها. كان قد حلق ذقنه، ومن خلال الضوء الناعم لاحظت وسامته التي تبدو جلية في كل ملامح وجهه. وراودتها فكرة مفادها أن وسامته هي مزيج نادر من الجمال الشرقي المتوسطي والجمال الأوروبي. قال غاي بصوت هادىء: «يبدو الطعام شهياً».

لم يبد ملهوفاً للطعام كما توقعت من رجل يشعر بمثل جوعه، لكن مع الوقت، وفيما هو يخبرها عن الأوضاع في سانت روزا، كاد يأتي على كل ما في صحنه. وعندما أنهى طعامه قالت: «الدولة المجاورة كانت إذن وراء تلك الأحداث؟ هل تعتقد أنهم سيحاولون ثانية؟».

- لا أعتقد ذلك، فلقد فقدوا الكثير من الرجال.

قالت لورين: «كيف هي أوضاع القرويين في تلك القرية الواقعة في الجبال؟ من المؤكد أنهم كانوا في وسط المعارك».

أجاب غاي بنبرة حازمة: «لا. فالمعلومات التي وصلتني تفيد أن تلك القرية لم تتعرض للكثير من أعمال العنف كبقية القرى. لكن مع ذلك، فأنت لن تعودي إلى هناك».

شعرت بارتجافة على امتداد عمودها الفقري، وقالت: «لكن..».

قال يقاطعها بنبرة جازمة: «دون لكن. لن يسمح لك بالاقتراب من أي مكان على الساحل الجنوبي، فالمنطقة لا تزال في وضع حرج».

وسألته: «وأنت، هل ستعود إلى هناك؟».

وحبست أنفاسها بانتظار جوابه.

- نعم.

شيء ما في كلامه وفي تعابير وجهه الوسيم دفعها لأن تقول: «لماذا؟».

رفع حاجبه الأيسر بسخرية والتوى فمه بابتسامة ثم قال: «لدي معارف كثر، وأعرف من يمكنه تقديم المساعدة التي قد يحتاج إليها الناس. كما يمكنني أن أقوم بدور الوسيط بين هؤلاء».

ساورها إحساس غريب فانقبض صدرها، لكنها تجاهلته ونهضت وهي تقول: «العشاء جاهز. سأذهب لإحضاره».

أثناء تناول الطعام حاولت لورين إبعاد فكر غاي عن كل الأحداث المرعبة التي حصلت في الأيام القليلة الماضية، أخبرته بعناوين الصحف التي وصلت إلى مكتب السفريات، ثم حدثته عن بعض الفضائح الاقتصادية المهمة، وعن قصة زواج أحد المطربين المشهورين وانفصاله عن زوجته.. كان غاي مدركاً لما تقوم به، لكنه جاراها في ما تفعله. ولم تنتهِ الوجبة إلا وكان قد بدأ بالاسترخاء والضحك.

وعلى الرغم من ازدياد توترها، قالت لورين بصوت هادىء: «أتريد القهوة؟ لكن أخشى أنها قهوة محضرة مسبقاً».

- لا بأس بذلك..

ثم تثاءب وراح يفرك رقبته قبل أن يتابع قائلاً: «لكن قبل أن تعدي القهوة، سأذهب لأحضر لك رزمة أخرى».

- ماذا؟

- سوف ترين بنفسك.

مرّت عشرون دقيقة قبل أن يعود، وكانت تلك أطول عشرين دقيقة في حياة لورين. جلست على الشرفة بانتظاره وقد لفّها الظلام.

- تفضلي!

قال غاي ذلك وهو يضع الرزمة على الطاولة.

- آه، علامَ تحتوي هذه الرزمة؟

- على ثياب.

إنها ثيابها وقد أحضرها من سانت روزا.. وقالت: «شكراً لك، ظننت أنها سُرقت».

- إنها ثياب جديدة..

ثم توقف عن الكلام ليعود بعد قليل فيقول: «عليّ أن أذهب».

كان يتكلم باقتضاب وبدت كلماته حادّة في ذلك الجو الثقيل. نهضت لورين وسارت إلى المطبخ الصغير، وبعد أن قامت بتحضير القهوة، حملت الصينية بهدوء واستدارت نحوه. وعندها فقط سألته: «لماذا؟».

راح غاي يراقبها وهي عائدة باتجاه الطاولة، بساقيها الطويلتين وقامتها الرشيقة، فيما راحت المشاعر تضطرم في صدره توقاً إلى هذه المرأة التي تكاد تفقده صوابه. انتظر إلى أن جلست وحملت إبريق الحليب بيدها، ثم قال: «ليس لديك هنا سوى سرير واحد ولا أظنه سيكون مريحاً لكلينا».

وسرعان ما ندم غاي على تفوهه بهذه الكلمات، إذ شعر أن كلماته تلك تحمل إيحاءاً يدل على رغبته بمشاركتها سريرها بعد أن أقنعها بالزواج به. ومع ذلك كان عليه أن يقول شيئاً ليبرّر رغبته في المغادرة. راحت يد لورين ترتجف حتى اضطرت إلى وضع إبريق الحليب من يدها. أبقت رأسها منخفضاً ولم يكن يرى من وجهها سوى الانحناء في عظام خديها. وبعد لحظة قالت: «أنا أريدك أن تبقى ولولا ذلك لما طلبت منك عدم الذهاب».

اللعنة! إنه يريدها بقوة. لكنها المرة الأولى في حياته التي يشعر فيها بمثل هذه الأحاسيس الجارفة تجاه امرأة لا تملك أي فكرة عنه وعمّن يكون. هنا، في فالانو يعرفونه باسم غاي باغاتون فقط.

وتابعت لورين تقول: «لا تظن أن الأمر مجرد اعتراف بالجميل أو شعور بالامتنان».

توترت عضلات كتفيه وذراعيه وبذل جهداً واضحاً للسيطرة عليها. وفكّر أن الارتماء في أحضانها لن يكون الطريقة المثلى للحصول على تقديرها لشخصه والاهتمام به. وسألها: «ما الأمر إذن؟».

انحنت لورين ولمست خده بإصبعها قائلة: «نحن متزوجان ولا ضير من بقائنا معاً، أليس كذلك؟».

ثم عانقته.. بدا عناقها مثيراً مليئاً بالأسرار واللذة، بالجرأة والتسامح، بالغموض والحقيقة... ما جعل المشاعر تتأجج في داخله دون رحمة. وإذا به يقول بصوت أجش: «لا ضير على الإطلاق، فهذا ما أريده أنا أيضاً».

ثم جذبها نحوه بقوة في عناق أقوى وأكثر عمقاً. عانقها غاي كما لو أنها المرأة الوحيدة التي أحبها في حياته، وكأنهما يتشاركان تاريخاً حافلاً بالمشاعر المحمومة أما لورين فقد شعرت بأنها تغرق في عالم من الأحاسيس لم تعرفه من قبل. وفجأة، ارتخت ذراعاه حولها ليبتعد عنها قليلاً قائلاً: «لقد أردتك منذ رأيتك للمرة الأولى».

فتمتمت لورين: «همم... يومها بدوت لي كالقرصان.. كقرصان مثير جداً».

مع أن جفنيه كانا يحجبان عينيه عنها، إلا أنها لمحت ومضة من التسلية في أعماق عينيه الذهبيتين.

- وهل لديك اعتراض على القراصنة؟

مرّرت إصبعها برفق على خده وقالت ضاحكة: «اللحية تناسب بعض الرجال».

راح غاي يضحك ضحكة عميقة منتصرة وعاد يعانقها ثانية ما جعل قلبها يخفق بنبضات متسارعة. لم تعرف من قبل رجلاً بهذه الوسامة أو بهذه الرجولة الطاغية. إنه مزيج من القوة ورقة المشاعر معاً.. رفع غاي رأسه وراح ينظر إليها. وما لبث أن سألها بصوت عميق: «هل أنت واثقة؟».

وفكرت لورين بيأس أنهما لن يمكثا معاً سوى لوقت قصير، فهي ستغادر قريباً إلى نيوزيلندا، أما غاي فسوف يعود إلى سانت روزا. ولا يحق لها أن تطالبه بالبقاء بعيداً عنها طالما هما متزوجان. ظهرت ابتسامة على شفتيها المرتجفتين وقالت: «نعم، واثقة تماماً».

ظل غاي واقفاً في مكانه لبرهة دون حراك، ثم قال: «وأنا أيضاً».

وسرعان ما استدار ليسدل ستارة القماش المشبك فوق السرير منعاً لدخول الحشرات، وكأنه بذلك يبني حاجزاً بينهما وبين العالم الخارجي.

٥ - رجل الحب والحرب

أغمضت لورين عينيها وهي تفكر كيف ستتمكن من نسيانه.. وفجأة سألها غاي: «متى ستغادرين فالانو؟».

شعرت بقلبها يعتصر من الحزن لكنها أجابت بهدوء: «عندما تصلني النقود فأتمكن من شراء بطاقة السفر».

- سأعود إلى سانت روزا بعد ثلاثة أيام، هل تودين أن نقضي هذه الأيام الثلاثة معاً؟

رفعت رأسها لتحدق في عينيه فرأت الترقب يلتمع في أعماقهما، وإذا بالألم يزداد في قلبها حين أدركت أنها لن ترى غاي ثانية بعد أن تغادر فالانو. وسألته: «أتعني هنا؟».

- في مكان ما على الشاطىء بعيداً من هنا.

عادت تسأله وكأنها تخشى أن تتخذ قراراً: «أتعني في جزيرة مهجورة؟».

رمقها بنظرة تحدّ ثم ابتسم قائلاً: «في مكان مهجور، لكنه ليس جزيرة بالتحديد».

تردّدت قليلاً مع أنها تعلم تماماً ما سيكون عليه جوابها، ثم قالت: «نعم، لكن عليّ أن أتصل بوالديّ لأخبرهما بما يحصل معي».

سألها متعمّداً إغاظتها: «هل ستخبرينهما بكل شيء؟».

ابتسمت وقالت معترفة: «كلا، ليس بكل شيء».

- يمكنك التحدث إليهما عندما تصلين إلى هناك.

www.elromancia.com

- أليك هاتف في ذلك المكان المهجور؟

- نعم.

***

استدارت لورين لتنظر إلى غاي فيما هما جالسان في الزورق الذي يتهادى فوق المياه الضحلة. شيء ما في وقفته وهو يوجّه الزورق، وفي تعابير وجهه الذي يبدو مقطباً بتأثير أشعة الشمس.. أرسل ارتجافة في كل عصب من أعصابها. أبعدت عنها ذلك الإحساس بالقلق وقالت بمرح: «أين تعلّمت قيادة الزوارق؟ تبدو وكأنك في استعراض عسكري».

كان القارب ينطلق عبر الموج ناشراً الرذاذ على جانبيه. أجابها غاي: «تلقيت تدريباً عسكرياً لمدة سنتين، وهذا جزء من تقاليد أسرتي».

ثم أشار إلى مجموعة من الطيور ذات الذيول الطويلة وهي تحلّق فوق البحر وتابع قائلاً: «أنظري، هل ترين تلك الطيور؟».

وفكرت بحزن أنه يود بهذه الإشارة أن يقول لها بكلمات أخرى: لا تتحدثي عن مواضيع خاصة لورين!

مع أن المنزل الذي اصطحبها إليه غاي يبدو منعزلاً ويختبيء في ظلال أشجار جوز الهند فيما يمتد الشاطيء أمامه، غير أنها لم ترَ فيه شيئاً بدائياً. وبعد أن اتصلت لورين بوالديها مستخدمة أحدث وسائل الاتصالات، سألته: «هل هذا المكان الجميل لك؟».

- لا، إنه للمتجع، أراد المالك أن يبني عدداً من هذه المنازل على امتداد الشاطيء لكن خطته باءت بالفشل. هل أعجبك المنزل؟.

أجالت بصرها حولها في الغرفة الواسعة التي فرشت بأثاث من اللونين الأزرق والأخضر الباهتين اللذين يتناسبان مع لون أشجار النخيل والبحر والرمال البيضاء، ثم ابتسمت بسخرية. بالطبع، فمتسكع مثله لا يمكنه أن يمتلك مثل هذا المنزل!

- إنه رائع الجمال.

واختفى صوتها ما إن انحنى غاي وعانقها.

خلال الأيام التالية، اكتشفت لورين كم هي مغرمة بغاي، وخافت من معرفتها هذه. لكن هذه الأيام الغالية هي كل ما يمكنها الحصول عليه من غاي، لذا لم تقاوم مشاعرها نحوه. وفكرت أن الوقت هو الكفيل بمساعدتها على نسيانه ما إن تعود إلى حياتها السابقة. بدا غاي شخصاً رائعاً، ذكياً، ذا شخصية آسرة، كما أنه يجيد الطهو. تحدث معها في كافة المواضيع وجعلها تضحك عدة مرات. إلا أن أياً منهما لم يتحدث عن حياته الخاصة وكأنهما متفقان ضمنياً على ذلك. مرّت الأيام والليالي سريعاً، كأنها حبات من اللؤلؤ تنساب من بين يديها في خيط من الحرير الناعم. إنها رائعة بشكل يفوق الوصف. وبقيت كذلك إلى أن أطلّ ذلك الصباح الذي سيعودان فيه إلى فالانو.

قبل رحيلهما بدقائق تحدثت لورين إلى والديها عبر الهاتف، أما غاي فقد تركها وذهب كي يتأكد أن كل شيء بات جاهزاً. وعندما عاد إلى الغرفة سمعها تقول: «فكرت في الذهاب مباشرة إلى الوطن بدلاً من الذهاب إلى نيوزيلندا».

لقد سمع صوتها في الكثير من الحالات.. قوية، مرحة، مغرمة.. لكنه لم يسمعه أبداً مشحوناً بالعاطفة كما هو الأمر حين تتحدث إلى والديها. أصغت إلى محدثها برهة ثم قالت بعد قليل: «حسناً.. هل أنت متأكد؟».

بعدئذ ساد صمت طويل فيما كانت لورين تبتسم ابتسامة لم يرها على وجهها من قبل. راقبها وهي تمرّر يدها على حافة الطاولة فأرسلت حركتها قشعريرة إثارة في جسمه، ما جعله يشعر بالضيق والغضب معاً. ولم يعجبه شعوره هذا مطلقاً. لقد قضيا الأيام الأخيرة معاً إلا أن لورين ظلت حذرة فتجنبت أي حديث عن المستقبل. أتراها من أولئك النساء النادرات اللواتي لا يشعرن بأي روابط عاطفية؟

حتى تلك اللحظة تعمد غاي أن يبعد اسم مارك كوربت إلى أبعد مكان في ذاكرته، أما الآن، فإن هذا الإسم جعله يشعر بغيرة مؤلمة.

كانت لورين تتابع حديثها على الهاتف فقالت بمرح: «حسناً، سأغادر اليوم، لكنني سأتوقف في فيجي ولن أصل إلى نيوزيلندا إلا في ساعة متأخرة. سأقضي الليل في فندق في مطار أوكلاند ثم أسافر إلى خليج الجزر غداً صباحاً».

أصغت إلى محدثها مرة أخرى، ثم ضحكت وهي تقول: «مكان مليء بالمشاكل. نعم، سأتصل بك ما إن أصل إلى منزل مارك. إلى اللقاء».

ووضعت سماعة الهاتف في مكانها.

- أكل شيء على ما يرام؟

كان هذا كل ما استطاع غاي قوله، إلا أن نبرة صوته بدت عدائية.

رفعت لورين عينيها نحوه بحذر، وبدا واضحاً أنها لم تسمعه يدخل إلى الغرفة، ثم قالت: «نعم، شكراً لك. كنت أتساءل إن كان يجدر بي العودة إلى بلادي لأؤكد لوالديّ أن ابنتهما الغالية بأمان وبصحة جيدة، لكن يبدو أن والدي لم يسمع بما يحدث هنا».

أطلق غاي صفيراً خافتاً ليخفف من غضبه الكبير، وقال بحدة: «إنه أب حكيم».

إذن، سوف تذهب إلى منزل مارك كوربت، وذلك يعني أن علاقتهما قد انتهت. حاول أن يرفع كتفيه دون اهتمام، متسائلاً ببرودة لما فارقه تفكيره المنطقي.

ماذا يعني ذلك؟ فهما لم يتحدثا عن أي ارتباط. قد تكون لورين حلم أي رجل، لكن قصة غرامها قد انتهت، وبإمكانها الذهاب إلى أي مكان تريده. وكذلك الأمر بالنسبة إليه.

قالت لورين بنبرة ملؤها التأثر: «أبي حنون جداً».

ثم انضمت إليه على الشرفة خارج غرفة الجلوس وقالت بحذر: «غاي، لقد أمضيت وقتاً رائعاً جداً. شكراً لك».

أجابها بنبرة مليئة بالتأثر: «تبدين كطفلة صغيرة في نهاية حفلة لها».

لم تظهر على وجهها أي تعابير، والتقت عيناها بعينيه دون أن تتحرك. بدت عيناها جامدتين كالفضة المصقولة. شعر غاي بالانزعاج وبدا كأنه أصيب بصدمة، وقالت لورين بحزم: «قد يكون هذا ما أشعر به، فلقد كانت حفلة جميلة جداً. لكنها وصلت إلى نهايتها مثل كل الأوقات الجميلة».

حاول أن يجد في نفسه قدرة كبيرة لإخفاء غضبه المفاجيء. وأرخى يديه اللتين كانتا قد تكوّرتا في قبضتين قاسيتين إلى جانبيه وقال: «من الأفضل أن تعطيني عنوانك وبذلك أتمكن من الاتصال بك إن احتجت لذلك».

في البداية ظن أنها سترفض، لكنها هزّت رأسها وفتحت حقيبتها لتخرج دفتر ملاحظات صغير. راقبها وهي تكتب العنوان وتنزع الورقة ثم تقدمها له قائلة: «سأبقى هناك لمدة ثلاثة أسابيع».

أراد غاي أن يمزق تلك الورقة، إلا أنه قال لنفسه بقسوة: حافظ على هدوئك. وقال: «حسناً، من الأفضل أن نذهب».

ثم حمل الحقائب وعادا إلى فالانو، قبل وقت قصير من إقلاع طائرتها. ما إن وصل القارب إلى الشاطيء حتى نظرت لورين حولها متظاهرة أن لا شيء قد تغيّر. كان غاي يحدّق وقد علت وجهه تعابير جعلتها تشعر أنه بعيد عنها، وكأن هناك جداراً بينهما. وجدا هناك سيارة بانتظارهما، لا بد أن غاي قد طلبها. سار معها إلى السيارة. وبينما كان السائق يضع حقيبتها في الصندوق، مدّت يدها مودّعة وهي تقول بحزم: «وداعاً، وشكراً لك على كل شيء».

بطريقة رسمية مماثلة، ودون أن تظهر أي تعابير على وجهه أو في عينيه الذهبيتين، انحنى غاي وأمسك بيدها. لكن ذلك التكلف اختفى ما إن رفع

يدها إلى فمه ليقبلها؛ ألهبت قبلته بشرتها كأنها حزام من النار وجعلت قلبها يخفق بسرعة كما توترت عضلات جسمها بأكمله. قال غاي بصوت ناعم كالحرير: «كان ذلك من دواعي سروري».

علا الاحمرار خديها ونظرت إلى البعيد ثم رمشت بعينيها وهي تحدق إلى رجل يقف بعيداً عنهما وقالت: «أنا أيضاً».

فتح لها باب السيارة، فجلست على المقعد الخلفي. ثم ابتعدت السيارة بها ولم تلتفت لتنظر إلى الوراء. حتى إنها لم تلاحظ الرجل الذي راح يحدّق بالسيارة وهي تمر أمامه، ثم وقف ينظر إلى غاي وهو يسير مبتعداً بخطى واسعة.

خلال رحلة الطيران كانت لورين تشعر بفراغ كبير في داخلها. رفضت أن تتناول شيئاً باستثناء الماء وعصير الفواكه. أجبرت نفسها على تناول القليل من الطعام الذي بدا لها كأنه مزيج من الغبار والبلاستيك في فمها. وشعرت بالأسف لأن عينيها باتتا مثقلتي الجفنين ومتعبتين، وأدركت أن الدموع ستنهمر منهما ما إن تغمض جفونهما. قالت لنفسها بغضب: توقفي عن ذلك الآن. فقد كنت تعلمين منذ البداية أنك ما إن ترحلي فلن ترى غاي ثانية. لطالما علمت ذلك وقبلت به.. لا يمكنك التنكر لذلك الآن. وحاولت إقناع نفسها أنها لم تقع في حب غاي باغاتون..

وفي منتصف الطريق إلى نيوزيلندا وجدت نفسها تتقبل أمراً لم تعترف به من قبل؛ لقد قامت بالأمر نفسه الذي قامت به أمها من قبل، دون التفكير بشيء آخر سوى عاطفتها ومشاعرها، فارتبطت في علاقة عاطفية مع رجل لا تعرفه. على الأقل، هي قد تزوجته وشعرت بحزن غريب سيطر عليها لكنها أبعدته على الفور.

إلا أن إيزابيل بورتر كانت تعرف المزيد عن حبيبها، أكثر مما تعرف لورين عن غاي. فكرت لورين أنها مثلها تماماً.. شدت على يديها في حضنها وقالت لنفسها: أنا حقاً ابنة أمي.. وكذلك أبي.

حسناً، والدها الحقيقي.. أما والدها رسمياً فهو هيوغ بورتر. اكتشف هذا الأخير أن ابنته الغالية هي ثمرة خطأ ارتكبته زوجته. كانت لورين حينها في العشرين من عمرها، وكان هو يعاني من أزمة قلبية، فكادت الصدمة تقتله. لكنه سامح إيزابيل وأكد للورين أن حبه لها لن يتغير مطلقاً.

عضّت على شفتها وهي تحاول أن تبعد أفكارها عن تلك المرحلة. قد يكون غاي مزارعاً يقوم بزراعة الأرز أو يقوم بتجفيف لب جوز الهند.

إنه نصف قرصان.. نصف محارب.. ويعيش في جزيرة نائية في المحيط الهادىء وباستثناء ذلك الانجذاب القوي بينهما، ليس هناك جامع مشترك بينهما. عادت تكرّر لنفسها: لا شيء مشترك بيننا. إلا أن صدى الكلمات بدا مزعجاً في رأسها إلى حد بعيد.

ظلت تحدق في الفراغ أمامها دون أن ترى شيئاً حتى نهاية الرحلة إلى نيوزيلندا. كانت مخيلتها تعيد لها الأحداث التي مرت بها وهي بقربه، وفكرت أنها ستغدو بخير ما إن تصبح في منزل مارك. ستتخلص بسرعة من هذه الذكريات وتعود إلى طبيعتها السابقة مرة أخرى.

لامست لورين رأس كلبة الصيد الذهبية اللون وقالت بنبرة صبورة: «لا، فانسي. لاأريد الذهاب في نزهة عبر الشاطىء ولا أريد السير معك إلى خليج «كابج تري»، كما أنني لا أريد تسلق التلة أيضاً، ولا أريد أن ألعب معك بالطابة أو حتى تقديم الطعام لك».

وتابعت بصمت: كل ما أريده هو الاستلقاء هنا في الشمس وأشعر بالحزن على رجل لن أراه ثانية.

حركت فانسي ذيلها جذلاً لرؤيتها وراحت تلعق أصابعها بلسانها، ثم أخذت تركض حول المسبح. ضاقت عينا لورين بسبب أشعة الشمس المتوهجة فوق الخليج. على الرغم من بعد هذا المكان عن المحيط الهادىء الكبير، فهو أقل حرارة وأكثر اخضراراً من المناطق الاستوائية التي تحيط بفالانو وسانت روزا. وقالت لورين لنفسها بحزن: لكنه جميل مثلها تماماً.

حركت فانسي ذيلها كأنها توافق على كلامها. وأدركت لورين أنها، الآن وإلى الأبد، سوف تقارن كل جزيرة تراها بفالانو. استلقت لدقائق طويلة وهي تستعرض ذكرياتها.. لقد أمضت اليومين الماضيين غارقة في تلك الذكريات.. يومان وأربع ساعات. وفكرت بحزن، أنها، على الأقل، لا تعدّ الدقائق...

جلست فانسي إلى جانبها ثم رفعت أذنيها متنبهّة وحدّقت بالسماء.

- ما الأمر يا صغيرتي؟

وما لبثت لورين أن سمعت الصوت هي أيضاً، إنه صوت طائرة مروحية تطير بسرعة وعلى علو منخفض. هل هو أخوها مارك؟ فهو وبيج ما زالا يتمتعان بشهر عسل جديد في سيشيل وقد تركا ابنتيهما التوأمين مع والدة مارك في باريس.

حدس خفي جعلها تحبس أنفاسها، لكنها قالت لنفسها إن تلك فكرة غبية.. أسرعت في الدخول إلى المنزل لتبدل بنطلونها القصير بآخر طويل مع قميص من الحرير. وتمتمت: «ربما يكون..».

إلا أنها عادت وابتسمت بحزن، بالطبع لن يكون القادم غاي. لكن لو حدثت معجزة ما وكان هذا غاي، فإنها سوف تبعده عنها حتى لو كان يريدها معه. فهي لا تستطيع تخيّل نفسها وهي تمضي بقية حياتها في جزيرة استوائية.

كان عليها العودة إلى نيوزيلندا ما إن أعطاها جواز السفر. لكن.. حتى في ذلك الوقت، كان الأوان قد فات. فذلك الزواج السريع والذي تم تحت قصف المدافع هو قصة مثيرة لأي صحفي. ولطالما تصرفت هي ومارك بحذر تام، كي لا تثير علاقتهما الانتباه، حرصاً على سمعة أمها وصحة والدها.

من حسن حظها أن تلك القصة لم تعرف. فلو أن أحد الصحفيين علم بما حصل بينها وبين غاي.. أو علم بزواجهما، فمن المؤكد أن أخبارهما كانت الآن على صفحات الجرائد. فالصحف ستتمتع كثيراً بنشر أخبار

الرجل الأجنبي الذي يحارب جنباً إلى جنب مع قوات سانت روزا. سمعت طرقة على باب غرفتها، وقالت مدبرة المنزل بضيق واضح: «إنه السيد باغاتون، وهو يصرّ على رؤيتك».

شعرت بتوتر كبير يسيطر عليها ممزوجاً بإحساس من الفرح أبعد عن رأسها كل ما كانت تفكر به. حاولت ألا تظهر مشاعرها إلى العلن وقالت: «شكراً سيدة أوليفر، فأنا أعرفه».

كان غاي في انتظارها في غرفة الجلوس. بدا مرتاحاً، وكان يرتدي ثياباً عادية تظهر بوضوح قامته المديدة، وقد رفع كمّي قميصه فبدت ذراعاه السمراوان القويتان، كما أنه كان حليق الذقن. كانت عيناه الضيقتان القويتان تراقبانها وكأنها تنتمي إلى نوع نادر من المخلوقات أمضى حياته كلها وهو يبحث عنها.

اضطرمت الاحاسيس في داخلها، أحاسيس قوية وبدائية. هذا الرجل يختلف كثيراً عن ذلك الذي التقته في سانت روزا.. متشرد الشواطىء.. رجل الحركة والحب.

شعرت لورين أن الحياة دبّت في جسدها من جديد لرؤيته. حاولت أن تحكم سيطرتها على نفسها وقالت: «صباح الخير غاي، إنها مفاجأة سارّة».

وقبل أن تدرك ما ينوي القيام به، قطع المسافة التي تفصل بينهما بخطوات طويلة ثلاث، فاقترب منها وعانقها ثم تراجع قليلاً ليقول: «يسعدني أن تشعري بالسرور لرؤيتي».

حاولت أن تخفي دهشتها وحيرتها فسارعت إلى سؤاله: «ما الذي أتى بك إلى هنا؟».

- تبدين شاحبة.. هل أنت بخير؟

- نعم، إنني بخير.

«بخير» تبدو كلمة غير مناسبة لوضعها! شعرت بالرعب من ذلك

الإحساس الذي جعلها تشعر بأنها ولدت من جديد ما إن رأته. قال غاي وهو ما يزال مقطب الجبين: «اجلسي».

شعرت ببرودة كالثلج تسري في ضلوعها، نظرت إلى وجهه لكن ملامح وجهه لم تنبئها بأي شيء، فسألته: «لماذا؟».

- أحمل إليك أخباراً غير سارة.

هزّت لورين رأسها، وتصلّبت كتفاها دون وعي منها ثم قالت: «أخبرني، ما الأمر؟».

لكنه لم يتفوه بكلمة، إلى أن عادت فتماسكت من جديد، ما جعله يطمئن إلى أنها قادرة على التعامل بحكمة مع ما سيقوله. وعندئذٍ قال بنبرة فظة: «الزواج الذي عقدناه في سانت روزا قد يكون زواجاً شرعياً».

٦ - حذارِ من الذئاب!

حدقت لورين به بوجه شاحب: «ماذا تعني بذلك؟».

لم تظهر على وجهه أي تعابير أو انفعالات، وقال ببساطة: «يقول محاميّ إننا سنكون في وضع حرج إذا اعتبرنا زواجنا غير موجود».

انفجرت في وجهه ساخرة: «لكن لم يكن هناك أي ترخيص بالزواج ولا شهادات رسمية، لا شيء.. فقط ذلك الرجل الذي.. الذي..».

ساعدها غاي لتكمل جملتها قائلاً: «جوزيف».

شدّت يديها في قبضتين متماسكين إلى جانبيها وتابعت تقول: «مهما كانت صلاحيات جوزيف هذا، فلا يمكن أن تكون قانونية».

رفع غاي كتفيه العريضتين بلا مبالاة وقال: «يبدو أن المراسم التي قام بها جوزيف هي كافية في سانت روزا».

سارت لورين نحو النافذة وهي تشعر بالخدر في أوصالها. شعرت بالرعب يدب في أوصالها حتى كاد عقلها يتوقف عن التفكير.. متزوجة من غاي باغاتون! قالت بغضب: «لا، لن أقبل بذلك».

- القبول بالأمر أو رفضه لن يغيرا من الواقع شيئاً.

قال غاي ذلك بصراحة قاسية ثم تابع قائلاً: «الأمر ليس مؤكداً بعد، محاميّ يعملون على ذلك. وفكرت أنه يجب أن تعرفي بالأمر كي تكوني مستعدة».

أخذت نفساً عميقاً وأجبرت نفسها على التفكير ثم قالت: «شكراً لك».

www.elromancia.com

حتى لو كان الزواج قانونياً، فسوف يكون مصدراً ازعاج لها. وسيتطلب الأمر وقتاً ومالاً لا يمكنها تأمينهما، لكن سيكون ذلك كل شيء. بل يجب أن يكون كذلك لأنها لن تسمح للذكريات بأن تؤثر فيها.. فهي لا تؤثر فيه بالتأكيد. لكن إذا وصل الخبر إلى أحد الصحفيين، فمن المحتمل أن يقوم بالبحث في العمق ويكتشف سر حياتها، قد تستطيع هي التعامل مع المسألة لكن عليها أن تحمي والديها.

أخذت نفساً عميقاً وسألته: «متى ستعرف حقيقة الأمر؟».

- ما زالت الأمور مضطربة في سانت روزا، لكن محامي واثق أنه سيحصل على إجابة في غضون أسبوعين. وأنا، بالطبع، سأعلمك على الفور.

أومأت بتصلّب: «شكراً لك».

ضاقت عيناه الذهبيتان خلف جفنيه الثقيلين وقال بحدة: «على أي حال، إذا ما انتشر الخبر فستجدين الصحافة تتصل بك لتسألك عن قصة خروجك من سانت روزا».

شعرت لورين بتقلص في معدتها، وقبل أن تتمكن من منع نفسها قالت: «آه، يا إلهي! لا. آخر شيء أريده هو أن تتدخل الصحافة في حياتي».

ارتفع حاجباه الأسودان، وراح ينظر إليها كحيوان مفترس يرقب ضحيته. مع ذلك جاء صوته هادئاً حين سألها: «هل هناك سبب خاص لذلك؟».

قالت تبرّر نفسها بحذر: «إنه مجرد كره طبيعي لتصدر عناوين الصحف».

نظر إليها باهتمام قائلاً: «ولهذا السبب قمت بتحذيرك. لا تردي على الهاتف، واطلبي من مدبرة المنزل أن تقول إنك لست هنا».

بدأت لورين تفكر بصورة منطقية خشية أن يصيبها الذعر: «لا أظن أن الرأي العام العالمي يهتم كثيراً لحرب صغيرة في جزيرة نائية. أليس كذلك؟

لاحظت أن صحف الصباح لم تتحدث عن الأمر باسهاب».

عضّت لورين على شفتها وتابعت: «لا أتخيّل أن جوزيف سيخبر أحداً بما حصل».

ظهرت القسوة على وجهه ووافقها قائلاً: «لا مجال لذلك، لكن كان هناك أشخاص كثيرون في مبنى المطار تلك الليلة».

قالت ببساطة: «لم يتمكن هؤلاء من رؤية أي شيء».

وراحت تستعيد الصور التي عاشتها في ذلك المكان، محاولة أن تقنع نفسها، ثم أضافت: «كما أن الصحفيين يهتمون أكثر لأخبار الحرب ولن يثير هذا الأمر اهتمامهم».

- الصحفي يبقى صحفياً، والفضول هو من صلب عمله.

عندما ظلت صامتة تابع يقول: «على أي حال، فإن ظهور اسمك في عناوين إحدى الصحف ليس بكارثة».

اختياره للكلمات أثار دهشتها، لكنها قالت لنفسها إن عليها ألاّ تبالغ في ردة فعلها. فحتى لو اكتشف أحدهم سرّ ذلك الزواج، فإن ذلك لا يعني أنهم سيحاولون التدخل أكثر في حياتها. أما إذا فعلوا..

- إذا كنت تشعرين بالقلق من أن يكتشف أحدهم أننا أمضينا عدة أيام معاً في فالانو..

قالت بسرعة: «كلا. حسناً، أنا بالطبع لا أرغب في أن يصبح هذا الأمر موضوعاً للصحافة، لكنني متأكدة أنهم لن يهتموا لهذا الأمر».

قاومت النظرة التي رمقها بها والتي سببت لها الخوف. وأنهت كلامها آملة أن يبدو ما تقوله مجرد ملاحظة عادية: «بالطبع، سيضفي ذلك بعداً جديداً على صورتك كبطل».

رفع كتفيه متجاهلاً قولها: «هذا لا يعني شيئاً».

عادت إلى ذهنها بسرعة ذكرى تلك الأيام الجميلة، لتعود فتختفي بسرعة

أيضاً. وإذا بها تحدق إلى وجه رجل غريب.. غريب لا تعرفه أكثر مما تعرف أي رجل آخر. فقالت بتصلّب: «أعلم ذلك، كل ما في الأمر أنني أقدّر خصوصيّاتي كثيراً».

- هذا ما يرغب به الجميع.

ونظر حوله إلى الغرفة الأنيقة قائلاً: «هذا المنزل لا يشبه أبداً منازل فالانو. ألن تصطحبيني إلى الشاطئ؟».

شعرت بالألم والانزعاج بسبب نبرة الازدراء التي حملتها كلماته، وقالت: «نعم».

خرجا إلى الشاطىء، فانضمت إليهما فانسي وهي تحرك رأسها. انحنى غاي ليداعب رأسها الذهبي بمهارة تدل على حسن تعامله مع الكلاب. وقد أحبته فانسي بالتأكيد، فأخذت تتحرك بسرور وهو يدغدغها خلف أذنيها تماماً. نظرت إليه لورين وشعرت بألم غريب في قلبها. وبعد قليل، استقام غاي في وقفته بحركة رشيقة، فبدا طويلاً وقوياً.

نظرت لورين إلى ذلك الوجه ذي الملامح المستبدة، إلى بنيته الواضحة المعالم وشعرت كأن تياراً كهربائياً مسّها. فقالت: «إذا كنا متزوجين.. أعني إذا كان ذلك الزواج شرعياً.. ماذا يمكننا أن نفعل؟».

قال باقتضاب: «يمكننا إبطاله وهذا أمر طبيعي. واعتقد أن ذلك يعني الطلاق».

ساورها شعور.. بالمرارة. حاولت أن تستعيد السيطرة على نفسها، فأخذت نفساً عميقاً وسارت نحو الشاطىء. انحنت لتنزع حذاءها ثم قالت: «هل أنت واثق أنه ليس شرعياً إلا في سانت روزا؟».

وشعرت بالانزعاج من التوتر الواضح الذي ظهر في صوتها، ومنعت نفسها من التلفظ بالمزيد من الكلمات. وعندما لم يجب غاي استدارت كي تواجهه، وإذا به يقول ببرودة: «الزواج الشرعي هو شرعي في كل مكان.

فحتى الزواج الذي يعقد تحت السن القانونية لا يعتبر غير شرعي».

قالت بهدوء: «شكراً لك على تحذيري».

- إذا اتصل أحدهم بك، ارفضي التعليق على الأمر، بكل بساطة.

وانتظر قليلاً قبل أن يضيف برقة ملفتة: «بالطبع، لا داعي للقلق بأنني قد أفكر بالمطالبة بالحقوق الزوجية».

اصطبغ وجهها بالاحمرار لشدّة الخجل وقالت: «لم افكر بذلك. لِمَ لم يخبرنا جوزيف أن هذا الزواج سيكون شرعياً؟».

رقّت شفتاه وقال: «إن كنت تذكرين، لقد حذرنا أنه سيعتبر شرعياً في سانت روزا فقط. لكن أي خيار كان لديه؟ إنه رجل صالح.. وما كان ليرسلك إلى بلد آخر دون أوراق رسمية».

عضّت لورين على شفتها السفلى للحظة وهي تفكر ثم قالت وهي تتنهّد: «أمام وضع كهذا، لا يحق لي أن أتذمر مما لحق بي».

قال غاي بنبرة جافة: «ما حصل ليس مصيبة لورين، مع أن الأمر قد يغدو مشكلة إذا ما وصل إلى الصحافة، لكن باستثناء ذلك، لا يدعو إلى القلق».

رفعت لورين رأسها إلى الأعلى قائلة: «بالطبع، لكني لا أستطيع تصوّر نفسي متزوجة منك!».

قال بهدوء: «هذا الشعور متبادل».

ثم استدار وراح ينظر إلى المنزل، منزل أبيض جميل ينضح بالحب والعناية. قبل أن يتابع قائلاً: «إذا تبيّن أن الزواج شرعي سأتصل بك لنذهب إلى إحدى المحاكم لفسخه».

قالت بصورة آلية: «شكراً لك».

استمر في النظر إلى المنزل وقال: «لديك رب عمل بالغ الثراء. هل يسمح لكل موظفيه بقضاء عطلاتهم في منزله الخاص؟».

كيف علم أن مارك هو ربّ عملها؟ وأدركت ما الذي يقصده فشعرت بانزعاج كبير ظهر بوضوح على وجهها، وقالت: «يمكنك أن تسأله».

قال بنبرة مرحة محاولاً إخفاء التوتر الحاد من صوته: «أعتقد أنك خائفة من وسائل الإعلام خشية أن يعلم حبيبك بتصرفك الخاطىء في فالانو».

- ماذا؟

قال بازدراء: « لا تحاولي أن تكذبي علي. أعلم أنك صديقته الحميمة حتى قبل زواجه من حبيبته في نيوزيلندا».

شعرت بألم قوي جعلها تفقد السيطرة على أعصابها وتقول بصوت كاد يحول المكان حولهما إلى قطعة من الجليد: «لا علاقة لك بحياتي مطلقاً!».

رفع حاجبيه الأسودين معلناً استغرابه وعدم تصديقه، ثم قال بصوت ناعم كالحرير: «عندما دعوتني إليك أصبح لي علاقة بحياتك».

شعرت بطعنة في صدرها كأنها مزيج من الألم والغضب معاً، فقالت بصوت ضعيف: «كان ذلك مجرد.. جنون».

ضحك غاي وتشدق قائلاً: «لكني كنت سعيداً جداً بذلك».

قالت بغضب: «أنا لست عشيقة مارك كوريت».

- أوافقك الرأي على أنها كلمة قديمة الطراز، هل تفضلين حبيبته؟

توترت شفتاها وقالت: «لست كذلك أيضاً».

وسادت بينهما فترةمن الصمت ثم قال غاي فجأة: «حدثيني عن علاقتك بمارك كوريت».

ولاحظ على الفور كيف غلف الغموض ملامح وجهها. بللت لورين شفتيها بطرف لسانها وقالت بهدوء: «لا أعلم إن كنت أستطيع أن أثق بك».

وإذا بالغضب البارد يحلّ مكان الإعجاب والشوق.

- بالطبع، أنا لا أستطيع إجبارك على الوثوق بي.

رفعت بصرها نحوه لتلتقي عيناها بعينيه الذهبيتين اللتين تنضحان ذكاءً.

وبعد لحظات طويلة قالت: «مارك أنقذ حياتي».

فجأة حلّت الدهشة مكان الغضب. لقد توقع سماع أي شيء باستثناء هذا، فقال: «كيف فعل ذلك؟».

تحركت عضلات عنقها وهي تبتلع ريقها قبل أن تقول: «ما إن تخرجت من الجامعة حتى أصبت باللوكيميا».

شعر غاي بصدمة كبيرة لكلامها وقال: «تابعي».

- احتجت إلى عملية زرع للنخاع الشوكي، لكنهم لم يجدوا متبرعاً يناسبني.

قالت ذلك بنبرة تخلو من الانفعال والتأثر، وكأن ما حدث لم يحدث معها بالذات بل مع امرأة أخرى. وتابعت: «وأخيراً، اكتشفنا أن مارك هو الخيار الأمثل، ولولا وجوده لما بقيت على قيد الحياة».

أبعد غاي عن ذهنه ذلك الإحساس الكريه بالخوف وقال ببطء: «فهمت».

أمن المعقول أن تكون هذه المرأة الجميلة المليئة بالحياة قد تعرضت لخطر الموت؟ توقفت لورين لتلتقط صدفة وراحت تتأمل قشرتها ذات اللون اللؤلؤي، ثم تابعت تقول: «بعدئذٍ أصبح بالنسبة لي البطل المنقذ».

آملاً ألاّ يظهر التوتر في صوته قال غاي: «أستطيع تفهم ذلك».

إلاّ أن الأسئلة راحت تلح على فكره: كيف وجد الأطباء أن النخاع الشوكي لمارك كوريت مناسب لها؟

نظرت إليه لورين بعينين شفافتين، وبدا لغاي أن هاتين العينين لا يمكنهما أن تخفيا عنه أي شيء. وتابعت لورين تقول: «يومها قال لي مارك إنه سيقدم لي عملاً عندما أشفى إذا ما رغبت بذلك وإذا كان الأمر يناسبني. وبالطبع سررت بعرضه هذا، وعندما تحسنت صحتي قبلت بذلك العمل ومنذ ذلك الوقت، هناك نوع من العلاقة المقربة بيننا، مع أنني أحاول ألاّ أستفيد

من ذلك. لكن مارك عزيز جداً بالنسبة إلي، وكذلك زوجته بيج».

التوى فم غاي بابتسامة ساخرة، ومرة أخرى رفعت لورين بصرها نحوه. بدت عيناها صافيتين كالبلور، وكان صوتها يرن بالحقيقة. نظرت مباشرة إلى وجهه. لكن حدسه أنبأه أنها تخفي عنه أمراً ما، أو على الأقل فهي لم تخبره إلا بجزء من الحقيقة.

أخيراً قرر ببرودة وتمعّن أن تلك القصة كانت بداية لعلاقتها بمارك. وهذا أمر طبيعي. وحتى لو كان ما أخبرته به هو الحقيقة، فهي ما زالت حبيبة مارك كوربت. أما بالنسبة لحبها الواضح لزوجته بيج كوربت، فهذه لن تكون المرة الأولى ولا الأخيرة التي تغرم فيها امرأة بزوج صديقتها.

تساءلت لورين بقلق عما يدور وراء تلك الملامح الرائعة الجمال. هل صدّقها؟ هل اقتنع بما أخبرته إياه؟ ووجدت نفسها تتمنى لو أنها تستطيع الوثوق به فتخبره بالحقيقة كاملة. كانت لتفعل ذلك لو أن الأمر يتعلق بها وحدها، لكن في النهاية ذلك السرّ ليس سرّها. قالت بمرح: «إنها قصة قديمة ولا أرغب في التحدث عنها، لكن بعض الناس يقولون إنك إذا انقذت حياة أحدهم فسوف يجعلك ذلك مسؤولاً عنه طيلة حياتك. وأنا أكره أن يعتقد البعض أن مارك قدم لي عملاً بسبب إنقاذه لحياتي».

ظهرت على وجهه ابتسامة امتزجت فيها السخرية من نفسه بالتعاطف معها، وقال: «أستطيع تفهم ذلك».

سحب غاي محفظته من جيبه وأخرج منها دفتر ملاحظات ثم كتب بضع كلمات على ورقة منه قبل أن ينتزعها ويعطيها إياها قائلاً: «اتصلي بي إذا ما احتجت إليّ».

وبغتة اقترب غاي منها وضمها بين ذراعيه قائلاً من بين أسنانه: «لأذكرك فقط بما كان بيننا..».

شعرت لورين بالبهجة تتراقص في كل عصب من أعصابها، إلا أنها

تجمدت في مكانها. فنظر غاي إلى وجهها وقد ظهر الغضب على وجهه ثم قال بصوت خشن: «لا، لم تنسي ذلك».

ثم عاد يضمها إلى صدره بقوة، فشعرت أن هذا ما كانت تنتظره.. أن يضمها إلى صدره ليكمل أحدهما الآخر. شعرت أنها فقدت الإحساس بالزمان والمكان، وكأنها تذوب بين ذراعيه متجاوبة مع عناقه بقوة. ومع أنها لم تكن تريد سوى البقاء بقربه، إلا أنها قاومت رغبتها هذه وأبعدت نفسها عنه قائلة: «لا!».

التمعت عيناه بنظرة متملّكة وقال: «لكنك كنت تقولين نعم منذ لحظة فقط».

حتى في ذلك الوقت كانت تعلم أنها تقوم بعمل خاطىء وها هي قد منعت نفسها من الانجراف وراء عواطفها. كرّرت بهدوء: «لا».

ولأنها تعلم أنها لن تكون بأمان وهي بالقرب منه، فكرت أن الطريقة الوحيدة لتمنع نفسها من الوقوع في حبه هي أن تنهي هذه العلاقة الآن.

ظهرت القسوة على فم غاي وقال: «لماذا؟».

- لأنني لا أريد ذلك.

آه، كم يبدو الكذب مؤلماً! وسارعت تقول موضحة: «أنا أجدك جذاباً، لكن فكرة أن أكون زوجتك.. أجد هذا الأمر سخيفاً. وأنا لا أريد التورط في علاقة عاطفية معك».

تلفظت بكلماتها الأخيرة بغضب واضح، وانعكس ذلك على الفور على وجه غاي، ما جعلها ترتجف لبرهة. فابتسم غاي وابتعد عنها ثم قال بتهذيب: «أحقاً؟ أستطيع التفكير بعدد كبير من الكلمات لوصف هذا الزواج، لكن كلمة سخيف لم تخطر ببالي مطلقاً. أما بالنسبة للعلاقة العاطفية بيننا.. أظن أننا سبق أن تورطنا بها».

شعرت بألم كبير في صدرها وفكرت أن عليها أن تبعده عنها نهائياً،

فقالت تصحّح له: «لقد قضينا عدة أيام معاً. لكنني آسفة، فالذي حدث في المنطقة الاستوائية لن يحدث في مكان آخر. وسأكون ممتنة لك دائماً لأنك أنقذت حياتي».

- توقفي عن الكلام حالاً.

قال غاي ذلك بعصبية أخافتها، ثم تابع بحدّة: «إذا كنت تقولين إن قضاءك تلك الأيام معي كان بسبب شعورك بالامتنان، فسوف أثبت لك أنك على خطأ. لقد أقمنا علاقة في ما بيننا لأننا أردنا ذلك معاً».

- بالطبع أردت.. أردنا ذلك.

ثم جاهدت لكي توضح أفكارها، فأخذت نفساً عميقاً قبل أن تكمل بنبرة ملؤها التحدي: «كان هناك انجذاب متبادل بيننا، لكنه انتهى الآن».

مرّت لحظات مشحونة بالتوتر. وراح غاي يتأملها وقد بدا التجهم على وجهه الوسيم، وأخيراً تشدق قائلاً: «إذن لم يبق هناك المزيد لنقوله».

ثم استدار مبتعداً وهو يقول: «وداعاً، لورين».

غمرها إحساس غامض من الخسارة والألم. راقبته وهو يسير بخطى واسعة نحو الاشجار الكثيفة حيث هبط بالطائرة المروحية في الباحة الواقعة خلفها.

مهما كان شعورها نحو غاي باغاتون فمن غير المحتمل أن يكون ذلك حباً. وحدها المرأة الفاشلة تقع في حب رجل يظن أنها عشيقة رجل آخر، وهي ليست فاشلة.

ربما يكون من الأسهل أن تراه ثانية بعد أن ينسى الناس أمر الحرب التي وقعت في سانت روزا. قد يتمكنان من اللقاء معاً كما يلتقي الناس عادة بعد أن يتخلصا من كل تلك الأمور المتصلة بعلاقتهما والمتشعبة عنها.

عندما سألت أمّها لما ناسبها النخاع الشوكي في عظام مارك دون الناس أجمعين، اضطرت أمّها إلى الاعتراف بخيانتها لوالدها. وكان ذلك كافياً

لزعزعة كيانها. لكن ما أزعجها أكثر هو ردة فعل أمّها حين سألتها إن كان والدها يعلم بالأمر. فقد قاطعتها أمها بقسوة قائلة: «إنه يعرف الآن، لكن لا تتحدثي معه بهذا الموضوع فالحزن والإحباط قد يقتلانه».

لم تعرف لورين كيف تمكّن والداها من تخطي هذا الأمر القاسي، لكن حبهما لها جعلهما يتمسكان ببعضهما البعض أثناء مرضها.

ما إن اختفى صوت الطائرة حتى عادت لورين إلى داخل المنزل واتصلت بوالديها.

- كيف حال والدي؟

أكّدت لها أمها: «إنه بخير. كيف حالك أنت عزيزتي؟».

- أنا في صحة جيدة. لكن أتى لزيارتي اليوم الرجل الذي عمل على إنقاذي وإخراجي من سانت روزا.

ثم أخبرت أمها بيقظة وتنبّه لما أتى غاي لزيارتها، وأنهت كلامها بالقول: «أعتقد أنني سأعود إلى المنزل في أقرب فرصة ممكنة».

قالت إيزابيل بحزم: «لا! فأنت بحاجة إلى هذه العطلة.. لا يمكنك التعامل مع صحتك باستخفاف».

أكّدت لورين لها: «أشعر أنني بألف خير وأنني عدت إلى حالتي العادية السابقة».

- لكن إذا اكتشف بعض الصحفيين أمر ذلك الزواج التافه فمن المحتمل أن يأتوا للبحث عنك.

ثم ساد بينهما صمت قصير تمكنت خلاله أمها من استيعاب كل ما يتعلق بهذا الأمر، عادت لتقول: «عندئذٍ سنعمل على تجاهلهم».

فقالت لورين: «قد يبدأون بالتنقيب عن المزيد من المعلومات».

التردّد الذي ظهر على الطرف الآخر من الهاتف أظهر لها أن أمها قد فكرت بذلك أيضاً. وأخيراً قالت إيزابيل بصوت ملؤه الثقة والحزم: «لن

www.elromancia.com

يصلوا إلى أي شيء. إذا ما ظهر هذا الزواج المزيف إلى العلن، فإن التساؤل حوله لن يدوم أكثر من ثلاثة أيام. آه، عزيزتي.. لقد وصل والدك للتو».

انتظرت لورين بتوتر، وابتسمت عندما سمعت صوت والدها عبر الهاتف. وقال هذا الأخير بلهجة آمرة: «ابقي هناك. بالمناسبة، كيف يبدو ذلك الرجل الذي أخرجك من سانت روزا؟».

قالت بخفة لكن دون تطرف: «يبدو قوياً رائعاً».

- هل سأحبه؟

ضحكت وقالت: «نعم، أظن ذلك. أنت تحب مارك أليس كذلك؟».

قال بخشونة: «أحبه كثيراً، فمارك أنقذ حياتك. والآن هذا الرجل قام بذلك أيضاً. عندما تنتهي هذه الضجة أودّ أن أتعرّف عليه وأشكره. والآن، ابقي هناك وتمتعي بعطلتك لورين. أريد أن أرى خديك متوهجين بالصحة عندما تعودين».

قالت مظهرة الطاعة بطريقة ساخرة: «نعم أبي».

وسمعته يقهقه ثم يقول: «إلى اللقاء».

ودّعت لورين أمها أيضاً ثم سمحت لدموعها بالانهمار على خديها. ومن خلال دموعها اتصلت بالموظف الذي تولّى ترتيب أمر سفرها. فمهما قال والداها، إذا كانت أخبار زواجها من غاي ستظهر في الصحف، فإنها تفضل أن تكون في بلادها، على أن تكون بمفردها في الجهة الأخرى من العالم.

حدّق غاي بتجهم بسماء سنغافورة من خلال نافذة غرفته في الفندق، وأطلق شتيمة من بين أنفاسه. فقال الرجل على الخط المقابل للهاتف بنبرة جافة: «لطالما شعرت بالحسد منك حين كنا في المدرسة لقدرتك على إطلاق الشتائم بخمس لغات مختلفة، والآن استطيع إطلاق الشتائم بعشرين لغة، ومع ذلك لا يمكنني اجتذاب الأنظار كما تفعل أنت».

قال غاي بصوت رتيب وبارد: «صحفيون أنذال».

- لدى هؤلاء مكانتهم في الحياة.

- إنهم يتلهّون بالأخبار التافهة التي لا قيمة لها. متى سيعلنون الخبر؟

كاد يسمع تردّد صديقه قبل أن يقول بضيق: «غداً. لقد حصلوا على موضوع شيّق، وعرفوا الظروف الدرامية للزواج. كما عرفوا أنه قد يصبح زواجاً شرعياً وحقيقياً. بالإضافة إلى كون المرأة صديقة مقرّبة لكوربت، واسمه وحده يكفي لاستقطاب القراء. كما أنها ضربة موفقة لإلقاء الضوء على حياة شخص مشهور ومخادع ويعرف كيف يتجنب الصحفيين مثلك. ومن الطبيعي أن يفكروا بالحصول على أفضل النتائج من عملهم».

حاول غاي أن يسيطر على غضبه العارم وقال بنبرة حادة: «هذا أمر طبيعي. وكيف اكتشفت أنت المسألة؟».

قال صديقه باعتزاز: «لدي أصدقاء يشغلون مراكز مرموقة».

- حسناً، شين. شكراً جزيلاً، أنا مدين لك بذلك.

- لا تقلق بهذا الشأن، فأنا مدين لك بأكثر من هذا بكثير. فأنت من أنقذني من حياتي البائسة.

قال غاي باختصار: «انسَ ذلك».

وأعاد السماعة إلى مكانها. وقف لوقت طويل يحدق في الفضاء بغضب قبل أن يلتقط سماعة الهاتف مرّة أخرى. نظراً لفرق التوقيت الزمني، قد تكون الساعة الآن الثامنة مساءً في نيوزيلندا. بينما كان يطلب الرقم عاودته ذكرى منزل مارك كوربت وانعكاس أشعة الشمس عليه وعلى شعر لورين. بدا شعرها كشلال من الزجاج البركاني الأسود حول وجهها، ما أضفى توهجاً ناعماً كاللؤلؤ على بشرتها البيضاء كالحليب.

بما أن السيدة أوليفر لم تكن في المنزل، التقطت لورين سماعة الهاتف وقلبها يخفق بقوة، وقالت بحذر: «مرحباً».

- هل يستطيع أحد سماع ما نقوله؟

إنه غاي!

- كلا.

سيطر عليها إحساس بالخوف فسرت البرودة في داخلها.

- ماذا حدث؟

- وصلتني معلومات موثوقة أن أخبار زواجنا ستتصدر العناوين الأولى للصحف غداً.

وانتظر قليلاً ليفسح لها المجال للامساك بقوة بسماعة الهاتف ثم سألها بحدّة: «هل ما زلت هنا؟».

قالت بضيق: «نعم، شكراً لك على إخباري بالأمر، سأتصل بوالديّ على الفور لأخبرهما بذلك».

- هل أخبرتهما عن زواجنا؟

- نعم.

قال بهدوء: «حسناً فعلتِ. متى ستعودين إلى بلادك؟».

- سأغادر غداً.

قال: «أقترح عليك أن تغيّري خط رحلتك وتستقلي الطائرة المتوجهة إلى روما».

قالت بنبرة فظة: «هذا جنون! سوف أكون بخير. على أي حال، لا أحد يتوقع قدومي. . شركة الطيران لن تخبر أحداً عن موعد وصولي، ولا أحد يعلم بذلك سوى والديّ، ومن المؤكد أنهما لن يثقا بأي صحفي مهما كان مهذباً ولطيفاً ونضولياً».

قال غاي بهدوء: «حسن جداً. أتمنى لك رحلة عودة آمنة».

ثم وضع السماعة في مكانها، كذلك فعلت لورين بعد أن مسحت دموعاً خرقاء لا ضرورة لها. ساورها شعور بأنها أشبه بحيوان في قفص، مشدودة الأعصاب متوترة، فيما تحوم الذئاب حولها لتفترسها.

٧ - قرصان أم منقذ؟

على الرغم من استعدادات لورين على المستويين الذهني والعاطفي خلال رحلتها الطويلة، إلاّ أن عدد المصورين والصحفيين الذين كانوا بانتظارها في مطار هيثرو أخافها وسبّب لها الصدمة.

- لورين، انظري إلى هذه الناحية.

- مرحباً لورين، هل يمكنك إخبارنا عن زواجك من. . .؟

- لورين، لورين. . إلى هنا!

. . . وهكذا إلى أن ضاعت الأوامر والصراخ في الضجة واختفى معها كل نداء فردي.

شعرت لورين بالارتجاف، فضغطت على شفتيها بقوة وهي تبحث عن أسرع طريق لتجتاز هذا الحشد الصاخب. . ثم وصلت النجدة على يد رجلين يضعان إشارة الأمن الشخصي. قال أحدهما، وهو الأضخم والأكثر صلابة، في أذنها: «من هنا آنسة بورتر، من فضلك».

وراح الآخر يشق لها طريقاً بين المحتشدين. ضغطت لورين على أعصابها وسمحت لنفسها بإطاعتهما والخروج برفقتهما إلى الممر هرباً من الصحفيين المحتشدين. توقفوا أمام أحد الأبواب فيما قام أحد الموظفين بفتحه. فدخلت لورين عبره وهي تشعر بغرابة الموقف. وما لبثت أن توقفت عن التقدم ما إن أغلق الباب خلفها ونهض غاي باغاتون واقفاً على قدميه أمامها.

راح قلبها يقفز بفرح لا يصدّق، وتمكنت أن تقول بصوت هش: «آه،

مرحباً. يبدو أن الأخبار انتشرت بسرعة، أليس كذلك؟».

- هذا الصباح.

بدا صوته قوياً كمظهره تماماً، إلا أن تلك الهالة من السيطرة والثقة بالنفس بعثت الاطمئنان في نفسها. ومع ذلك شعرت بالارتجاف فراحت تفرك ذراعيها؛ هذه الغرفة تذكرها بقوة بتلك الغرفة التي تبعد أميالاً من هنا حيث تبادلت وهذا الرجل العهود الزوجية بالحب والطاعة. قالت بصعوبة: «فهمت، توقعت بعض الاهتمام من الصحفيين، لكن لا شيء يشبه هذه الجلبة. كيف عرفوا أنني سأحضر اليوم؟».

قال بنبرة واثقة: «هناك دوماً من هو مستعد لتسريب الأخبار».

ضاقت عيناه اللتان تشعان بالتماع ذهبي اللون وهو ينظر إليها ثم تابع يقول: «تبدين متعبة. ألم تتمكني من النوم على متن الطائرة؟».

- ليس لوقت طويل.

شعرت بالضجيج يملأ رأسها، فيما الحماسة والصدمة تمتزجان في داخلها فتعطيانها أحاسيس متناقضة من الارتياح والترقب.

بدا غاي متجهم الوجه، أمسك بذراعها وقادها باتجاه جسر عريض قائلاً: «هيا بنا نذهب من هنا».

على الرغم من أن شعورها بالارهاق والدهشة معاً جعلها تتركه يتولى عنها زمام الأمور إلا أنها قالت بصوت مرهق: «ما الذي يحدث؟ إلى أين نحن ذاهبان؟».

- إلى داسيا.

رمشت بجفنيها وتساءلت أين تقع داسيا قبل أن تتذكر أنها إمارة صغيرة على البحر المتوسط. وفجأة توقفت عن السير قائلة: «لماذا؟».

بذل غاي جهداً لجعلها تتابع سيرها ثم قال بصوت متجهم كتعابير وجهه تماماً: «والداك أصبحا هناك».

شعرت بفراغ في رأسها وكل ما تمكنت من قوله: «لكن والدي لا يستطيع السفر بالطائرة».

طمأنها غاي: «يستطيع ذلك إذا كان برفقته ممرضة».

ورافقها لتسير فوق الجسر ثم تابع قائلاً: «إنه بخير، لقد تحدثت للتو مع والدتك. آسف لأنك مضطرة إلى السفر ثانية».

استجمعت كل ما تبقى لديها من التفكير المنطقي. ووقفت في مكانها ثم قالت: «ما الذي يجري هنا؟ ولمَ داسيا بحق الله؟».

أجابها غاي ببساطة: «لأنها مكان هادىء وآمن، وأنت بحاجة إلى الابتعاد عن الأضواء. المكوث عدة أيام هناك سيقضي على كل هذه الضجة».

- لكنني..

- وافق والداك على أن هذا هو الحل الأمثل.

- لكنني لا أفهم..

- هذا كل ما يمكنني القيام به لحمايتك من الثرثرة التي ستدمّر حياتك.

- ماذا؟ اليوم، وأنا في هذه السن؟ لا بد أن لديك فكرة ساذجة عن المجتمع الحديث إن كنت تعتقد أن عقد زواج توافقي قد يثير فضيحة كبيرة.

بدا وجهه الوسيم مخيفاً وهو يقول بفظاظة: «أنت من هي ساذجة حقاً في التهرب من مواجهة الأمر. فكّري بأنك ستخسرين وظيفتك».

غدا الألم الذي يثقل صدرها كصخرة ثقيلة، حتى إنها لم تعد تستطيع التنفس بارتياح، وقالت: «لا تكن سخيفاً..».

بدت عيناه باردتين بالحجر وهو يقول: «لا تكوني حمقاء. كوريت لن يبقيك في وظيفتك ما إن يعلم أننا كنا حبيبين، إلا إذا كنت تملكين أدلة كافية تسمح لك بابتزازه. ومع وجود كل أولئك الصحفيين المتلهفين للحصول على الأخبار في سانت روزا وفالانو، لن يمر وقت طويل قبل معرفته بالأمر».

شعرت بالألم لأنه ما زال مقتنعاً بتلك الإشاعات التافهة، وفكرت أن ذلك أمر خطير إذ ليس عليها أن تهتم بما يفكر به، فقالت بتبلّد: «لا أهمية للأمر».

قال غاي بصوت خشن: «لا يبدو لي كرجل يرضى بأن يشاركه أحدهم بمن يحب. كما أشك بأنه قد يرضى بالابتزاز».

وبد الازدراء على وجهه القاتم وفمه المشدود بتوتر. قالت لورين بنبرة حزينة: «لا، إنه ليس من هذا النوع».

كانا يقفان في مواجهة بعضهما البعض كعدوين شرسين، عيونهما تشع بالتوتر والغضب. وفكرت لورين أنه يحتقرها بلا شك.

– سوف تسوء سمعتك ولن تجدي من يأخذك على محمل الجد. قد تتلقين عروضاً للعمل في التلفزيون أو في عرض الأزياء، لكن عملك الحالي سينتهي. واجهي ذلك الآن. إذا ذهبت إلى داسيا لمدة أسبوع أو أكثر فسوف تنتهي الفوضى الحالية ويصبح بإمكانك أن تستجمعي أفكارك لتتابعي حياتك من جديد.

ظلت صامتة فاعتبر غاي صمتها علامة الموافقة، وأسرع يقودها إلى داخل الطائرة. في ما بعد، أقنعت لورين نفسها بأن الإرهاق الذي أصابها نتيجة السفر بالطائرة قد شتت دماغها وأفقدها إرادتها وقوتها.

ما إن أصبحت في الداخل، أنبأتها نظرة سريعة بأن الطائرة هي طائرة خاصة، وأنهما المسافران الوحيدان على متنها.

وقف غاي يفسح لها المجال لتجلس على المقعد الجلدي الواسع المريح وقال: «ستحصلين على رؤية رائعة من هذه النافذة».

وعندما انحنى فوقها ليربط لها حزام المقعد، ثارت أحاسيسها ابتلعت ريقها علّها تلطّف جفاف حنجرتها ثم أغمضت عينيها لتحجب عنها رؤية وجنتيه البارزتي العظام.

استقام غاي في وقفته وقد غلف وجه بقناع من القسوة أبعدها عنه تماماً. ثم قال: «سأذهب إلى غرفة القيادة. حاولي أن تنامي قليلاً».

شعرت كأن تحت جفنيها حبيبات من الرمل وهي تراقبه يبتعد، جسد ضخم يتحرك برشاقة وثقة كبيرة تقارب حد الكبرياء.

ما إن أغلق الباب خلفه حتى حوّلت نظرها إلى النافذة، من المؤكد أنه ليس قائد الطائرة! لكن لمَ لا؟ أتراه يعمل في قيادة الطائرات المروحية حين لا يكون في مواجهة الحروب؟ حركة من ورائها أثارت انتباهها وما إن التفتت حتى رأت مضيفاً يبتسم لها ويقدم لها شراباً.

وما إن سارت الطائرة على المدرج حتى غاصت في المقعد وهي تحتسي الشراب البارد بهدوء حتى أنهت الكوب كلّه.

ما إن ارتفعت الطائرة حتى ظهر المضيف ثانية عارضاً عليها الطعام وأنواعاً عديدة من الشراب. فأبدت له امتنانها وقالت: «أريد فقط إبريقاً من الشاي، من فضلك». لطالما رافقت مارك في مناسبات عدة على متن طائرات خاصة، حين كان يلتقي مع أفراد أسرته بصورة عاجلة، وخاصة في نيوزيلندا، حيث يقضون العطلات، وباريس حيث يعيشون. وفكرت وكأنها في حلم أن هذه الطائرة تحمل لمسة خاصة، ما يعني أن هناك من قام بتزيينها؛ أناقة هادئة تدعوك للاسترخاء. وفجأة، استقرت نظراتها المتنقلة على جدار يفصل ما بين قمرة الركاب والمطبخ، وتجهم وجهها وهي تنظر إلى شارة بدت لها مألوفة، تمثل نمراً يظهر مخالبه بقوة في الهواء. شي ما في خطوط تلك الشارة الواضحة سيطر على فكرها المتعب. أغمضت عينيها وراحت تفكر بتلك الذكرى الضائعة.

الخاتم! وانفتحت رموشها بسرعة.. خاتم غاي. الخاتم الذي وضعه في إصبعها يوم أتمّا مراسم ذلك الزفاف الذي يثير السخرية. ضاقت عيناها، وحدّقت مليّاً بالشارة التي تحيط بصورة النمر، إنها هي نفسها.

بدأ عقلها يعمل بسرعة. تذكرت نبرة الفخر والكبرياء في صوت غاي

حين تحدث عن داسيا. هل تعود هذه الطائرة إلى الخطوط الجوية في داسيا؟

وضع المضيف صينية الشاي أمامها وقال: «هل تودين أن تقرأي شيئاً ما؟».

- نعم، شكراً لك.

عاد بعد قليل وهو يحمل بيده أغلى مجلات الموضة ثمناً. هذا ما تحتاجه تماماً.. أخبار خفيفة وممتعة. بتصميم قوي راحت تنظر إلى صور عارضات الأزياء اللواتي يرتدين أروع التصاميم، قبل أن تقلب الصفحة لتقرأ الأبراج حيث قرأت أنها سوف تلتقي بالرجل الوحيد الذي سوف تحبه في حياتها. أغلقت لورين المجلة بسرعة وراحت تنظر إلى الخارج عبر النافذة دون أن ترى شيئاً.

أيكون غاي من سكان داسيا؟ أم أن أحد والديه منها؟ لا شك أنه يملك بنية قوية كبنية سكان حوض البحر المتوسط، كما أن جيناته الموروثة من تلك المنطقة تفسر لون بشرته السمراء وفمه الأنيق، كذلك لهجته التي تبدو مختلفة قليلاً حين يكون في حالة من التأثر. وعاودتها ذكريات تلك اللحظات التي بدا فيها كذلك، فالتقطت المجلة بسرعة.

غمرها إحساس بالإثارة عندما فتح غاي باب غرفة القيادة وخرج منه. إذن هو أحد أعضاء فريق الطيران!

توقف للتحدث مع المضيف فراقبته لورين بتوتر. بدا لها مختلفاً.. لا يشبه مطلقاً متسكعي الشواطىء، بل هو أقرب إلى رجل أوروبي متحضّر. الآن، وهي تنظر إليه فتشبع عينيها من رؤيته، اضطرت إلى الاعتراف بأمر حاولت أن تنكره منذ لقائهما الأول، إنه شعور يتأرجح ما بين الانجذاب والحب.. لطالما شعرت به خلال تلك الأيام التي أمضياها معاً في فالانو.

أصابتها تلك المعرفة بصدمة قوية أرسلت شحنات من التوتر في كيانها كله. للحظات قليلة غالية، سمحت لنفسها بأن تستمتع بالاحساس الكبير

بالسعادة بسبب اعترافها لنفسها بحبها لغاي. لكنها أجبرت نفسها بعدئذٍ على كبت مشاعر الحب هذه في قلبها واقفاله بمفتاح رمته بعيداً جداً. ذلك أن غاي لا يبادلها هذا الشعور بالحب. كل ما قام به لأجلها كان بسبب إحساسه بالشرف ورغبته بالحماية؛ أنقذ حياتها مرتين من أوضاع يائسة، أقرضها المال واشترى لها الثياب.. عاملها بلطف ورقة.. كل ذلك كان بسبب رغبته في التقرب منها بسبب انجذابه إليها. وها قد أمضيا بضعة أيام معاً وانتهى الأمر.. فهو يعتقد أنها عشيقة مارك. لا شك أن الانجذاب إلى شخص ما يحدث دون تمييز ويموت بسرعة. لذا لا يمكنها أن تقع في حب غاي.

قال غاي شيئاً جعل وجه المضيف يشرق بابتسامة عريضة، ثم استدار نحوها. ركزت لورين نظرها على المجلة في حضنها. كانت أعصابها مشدودة كأوتار آلة موسيقية. وما إن أصبح على بعد خطوات منها، اجبرت نفسها على النظر إليه متسائلة.

جلس بقربها وعلى وجهه ابتسامة رقيقة ذكرتها بتلك الابتسامة التي رأتها على وجهه في سانت روزا. ثم قال: «الإنكليز أينما كانوا يفضلون شرب الشاي».

- ألا يشرب سكان داسيا الشاي؟

اختفت ابتسامته، وبعد لحظة من التوتر قال: «ليس كثيراً.. نحن نفضل شرب القهوة».

- لهجتك الانكليزية ممتازة.

وأدركت أن تلك ملاحظة سخيفة، لكن هذا كل ما استطاعت التفكير به بذهنها المشتت.

- أمضيت عدة سنوات في مدرسة في بريطانيا، وأنا محظوظ جداً لأنني أحب اللغات وأجيد تعلّمها.

أومأت موافقة وهي تفكر بمهارته في التحدث بلغة سكان سانت روزا.

بعدئذٍ، استجمعت سيطرتها على نفسها ونظرت مباشرة إلى وجهه قائلة: «شكراً لك على إبعاد والديّ عن هذا الجنون الإعلامي، لم تكن لدي فكرة عن كيفية هجوم الصحافة والإزعاج الذي تسببه».

قال بنبرة بدت عادية مؤكداً على كلامها: «والداك منطقيان جداً ويعلمان أن الابتعاد عن الأضواء هو الحل الأمثل. كما أنك ما زلت في إجازة، كما أعلم».

فقالت: «ما زال أمامي أسبوعان من الإجازة».

- أخبرني والداك أنك كنت مريضة.

هزت كتفيها: «لقد أصبت بداء الرئة، لكن إصابتي لم تكن خطيرة. وقد أصبحت بخير الآن».

- ما زلت تبدين شاحبة.

مع أن صوته جاء متأنياً ومحايداً، إلا أن نبرته القلقة جعلتها تدرك بقوة كم هو قريب منها.

اعترفت وهي تبتسم بجفاء: «أنا أبدو دائماً شاحبة، كما أنني أعاني الآن من الإرهاق بسبب الطيران. سأكون بخير بعد نوم ليلة كاملة».

ولكي تجعله يقتنع بكلامها أنهت حديثها بمرح: «لم أذهب إلى داسيا من قبل، لكنني أعتقد أنها منطقة جميلة».

شعرت بالارتياح لفترة قصيرة وهو يخبرها عن تاريخ المنطقة الدموي. أخبرها أن أحد القراصنة أبحر نحو مرفئها فاحتلها لمدة أربع مئة سنة، وفرض عليها قانوناً استبدادياً قاسياً. لكن هذا العمل قاد، وبمنتهى الغرابة، إلى حركة تنوير كبيرة.

تمتمت بعذوبة: «يبدو لي ذلك مألوفاً».

رمقها بنظرة غامضة، فشعرت بدقات قلبها تتسارع شوقاً إليه. وغمرتها موجة من المشاعر الرقيقة المليئة بالحنو عليه.

التمعت عيناه بومضة تشبه النار المتوهجة، وقال متشدقاً: «هل تقولين إنني قاس ومستبد؟».

ضحكت لورين بنعومة وقالت: «يا لقوة حدسك! بالطبع أنت كذلك.. من المؤكد أنك تتعامل بقسوة مع كل من يعترض طريقك».

قال بصوت هادىء: «عليك الاعتراف بأنني أحاول دائماً إقناع الآخر بمنطق عقلاني قبل أن أحضر سلاح المدفعية الثقيلة».

إلا أن النبرة الكسولة التي ظهرت في صوته بدت وكأنها تكذّب كلماته. فردّت لورين قائلة: «لن أعترف بذلك أبداً. فخلال عدة ساعات من لقائي بك وجدت نفسي متزوجة منك، ولست أذكر أي محاولة للإقناع المنطقي أو العقلاني حينها».

وبعد مرور عدة أيام، وجدت نفسها منجذبة إليه، مستسلمة لعواطفها نحوه، غارقة في بحر من المشاعر القوية محت لديها سنوات من النظام والسيطرة على النفس. وأنهت كلامها بسرعة قائلة: «والآن أجد نفسي مخطوفة إلى داسيا».

نظر مباشرة إلى وجهها ثم قال: «بعض المواقف تحتاج إلى التحرك السريع».

بهتت لورين قليلاً وهي تتذكر كل تلك المخاوف التي راودتها في سانت روزا ثم قالت: «نعم، أنت على حق».

ورفعت بصرها فوقع على ذقنه مباشرة وقالت: «لا أذكر إن كنت قد شكرتك فعلاً على إخراجي من سانت روزا. إنني ممتنة لك حقاً، وأنا أعلم الآن ما كان سيحدث لي لو أنني بقيت هناك».

- كنت سأعتني بك بنفسي.

أجفلت لورين، ونظرت إلى وجهه الذي بدا وكأنه منحوت من الغرانيت بصلابته وبرودته وقدرته الهائلة، فشعرت كأن إصبعاً من الثلج يتحرك فوق

عمودها الفقري. لقد عرفته كمتسكع على الشاطىء، كرجل عملي، كحبيب.. لكن انطباعها الأول عنه كان كقرصان. والآن، يساورها الشك بأن تكون شخصية القرصان هي الأقرب إلى شخصيته الحقيقية.. يا إلهي! ما الذي ورطت نفسها به؟

قالت بكآبة: «كنت سأسبب لك الازعاج، وكما قلت أنت يومها، كنت سأضعك في مأزق أخطر من ذلك الذي كنت فيه».

- انتهى ذلك الآن، فلا تقلقي بشأنه.

ثم وقف وابتسم لها متابعاً: «اشربي الشاي، وحاولي أن تنامي. سأراك ما إن نصل».

شعرت بغصة في صدرها بسبب مشاعرها المكبوتة. راقبته وهو يغادر ثم أغمضت عينيها لتتذكر تلك اللحظات في فالانو وهي تراقبه يسير عبر الباب الزجاجي نحو الممر، فيما أشعة الشمس تلمع فوق بشرته السمراء. لقد أغمضت عينيها حينها، لكن صورته انطبعت داخلهما وداخل قلبها.

أعادت انتباهها إلى الحاضر بامتنان. لاحظت وهي تسكب الشاي أن الأوعية الصينية والملاعق الفضية تحمل الشعار نفسه: نمر داسيا. لو كان لديها بقية من الحس السليم لسألت غاي عن مالك الطائرة لكن، لسوء الحظ، ما إن يقترب منها حتى تفقد كل وعي لديها وكل إحساس بالمنطق. شربت كوب الشاي وأكلت واحدة من السندويشات الصغيرة الشهية، ثم اتكأت على المقعد علّها تحظى ببعض النوم. لكنها لم تتمكن من ذلك، ففكرها ظل منشغلاً بغاي. حاولت أن تشغل نفسها بشيء آخر، فأمسكت بإحدى المجلات الموضوعة أمامها وراحت تتصفّح أوراقها بتكاسل.

بعد مرور عدة لحظات، أدركت أنها تحدّق بإحدى الصفحات. رمشت بعينيها وركزت نظرها، فإذا بها تنظر إلى وجوه عدد من الرجال الوسيمين الذين يحدقون بها بدرجات مختلفة من الاهتمام. أحد أولئك الرجال هو غاي! لم تصدّق عينيها، فهزت رأسها وعادت تحدّق بالصورة مرة أخرى.

نعم، إنها صورة غاي. هل هو عارض أزياء؟

بدهشة بالغة، راحت تقرأ المقالة في أسفل الصورة: «.. الأكثر وسامة، إذا كنت تحب الهالة الملكية، جذاب ويصعب الوصول إليه، إنه الأمير غاي أوف داسيا، الملياردير..».

رمشت لورين بعينيها مرة أخرى، وشعرت بانقباض في قلبها وكأنه غدا كرة قاسية وباردة في صدرها.. هالة ملكية!.. الأمير غاي!

تابعت القراءة: «.. في الحادية والثلاثين من عمره، وما زال أعزباً ومحطّم القلوب في كل أنحاء العالم. والجميع يتساءلون إن كان سيتبع خطى أبناء عمه الأمير لوكا حاكم داسيا والأميرة لوسيا زوجة هانت ردكليف واللذين وقعا في حب أشخاص من نيوزيلندا».

فكرت لورين بعصبية، الأمير غاي من داسيا! وعلى الفور ودّعت تلك الآمال التي لم تكد بعد تعترف بها بشأنه. آه! إنها تعرف ذلك الاسم؛ الأمير ورجل الأعمال الناجح، والعاشق للنساء الجميلات، مثار اهتمام الصحف ووسائل الإعلام.. أغمضت عينيها، وعندما فتحتهما وجدت أنه ما زال ينظر إليها بتجهم من خلال صفحة المجلة.

لقد سمعت به، ورأت صوراً له، فلِمَ لم تتعرف عليه عندما التقت به في سانت روزا؟ أبسبب اللحية التي كانت تخفي ملامحه الارستقراطية أم بسبب..؟ حسناً، لأنها ببساطة، لم تتوقع أن تجد أميراً أوروبياً يتسكع في جزيرة وسط المحيط الهادىء.

ولأنها كانت متأثرة به بقوة جعلها ذلك تفقد عقلها بصورة مؤقتة. وعضت على شفتها بقوة. لمَ لم يخبرها؟ هل اعتقد أنها تعلم أن اسم باغاتون هو اسم العائلة المالكة في دَاسيا؟ حسناً، لم تكن تعرف ذلك.

مزيج من الانفعالات المسببة للاضطراب.. إعصار من الألم والغضب.. وإحساس كبير بالخيانة والعزلة.. شعرت بتدمير في أفكارها

ما عدا فكرة واحدة؛ إنها حمقاء ومغفلة تماماً، وقد تجاهلت بعناد كل شيء لا يتناسب مع انطباعها الأول عنه. لا عجب أن الصحافة واجهتها بذلك التصميم القوي في المطار! وهذه الطائرة بمقاعدها الفخمة، وجوّها المتميز، وذلك الشعار على الأواني الصينية والفضية.. ربما هي له أو لابن عمه الأمير الحاكم. تبدو المسافة بين هذا العالم وبين عالم لورين بورتر كمنحدر صخري خطر لا يمكن اجتيازه.

كم من الوقت سيمر قبل أن يبدأ أحدهم بالنبش في ماضيها؟ شعرت بضعف وبألم في معدتها بسبب الخوف.. هذا إذا لم يكن أحدهم قد بدأ بذلك فعلاً. لطالما عملت الصحافة على ربطها بمارك، فهل سيكتشف أحدهم هذا الرابط بينهما ويعلم أنها ورئيسها أخوين؟

إذا ما كشف هذا الأمر، ستبدو كابنة غير شرعية لوالد مارك كوربت، وذلك سوف يقضي على الراحة في منزل والديها. قد تتمكن من التعايش مع الأمر، لكن والديها سيتعرضان إلى حملة من التقريع والخبث قد تسبب لهما الألم الذي لا يحتمل، كما قد تسيء إلى صحة والدها الحرجة.

حاولت أن تبتلع الغصة التي شعرت بها، وحدّقت بصورة غاي الذي بدا غاضباً بسبب التقاط المصوّر تلك الصورة له. وعضّت على شفتها ثم أجبرت نفسها على قراءة ما تبقى من المقالة.

«ربما يكون الأمير غاي من أغنى الأمراء الأثرياء، لقد ورث الملايين من أمه، وهي وريثة روسية فائقة الجمال. أسّس شركة ألكترونيات بعد تخرجه من الجامعة، وشركته تحقق أرباحاً بالملايين في كل سنة. يدافع بشراسة عن خصوصياته، كما أنه ذو ميول إنسانية ومن المهتمين بالطبيعة».

أغلقت لورين المجلة وحاولت السيطرة على خيبة أملها. لو أنها عرفت من يكون لتصرفت بطريقة أخرى عندما كانا في سانت روزا. وبالطبع، ما كانت لترضى بأن تصبح حبيبته!

سمعت صوتاً ساخراً في أعماقها راح يضحك منها.. آه، بلى.. لقد

أردته يأس، وما زلت كذلك. والآن أنت غاضبة منه لأنه لم يخبرك عن نفسه ما يعني أنه لا يثق بك. إنه أمر يدعو للسخرية، فهي أيضاً لم تثق به ولم تخبره الحقيقة كاملة عن نفسها. سمعت طنيناً في أذنيها فيما كانت الطائرة تهبط. حدّقت لورين أمامها بنظرة جامدة كالحجر، وحاولت إقناع نفسها أن لا أحد سيتمكن من اكتشاف أنها ومارك أخوين.

ما إن أضيئت إشارة حزام الأمان، حتى سمحت ليديها بالاسترخاء بعد أن كانت تكورهما في قبضتين متشنجتين في حضنها. وبدأت بأخذ نفس عميق، شهيق وزفير، علّها تتخلص من اضطرابها وانفعالاتها. وعاهدت نفسها على الاحتفاظ بهدوئها حتى لو كانت الأمور مؤلمة بالنسبة إليها، لأنها لا تجرؤ على التصرف بخلاف ذلك.

٨ - أمير الحلم والألم

في مطار داسيا، قاد المضيف لورين إلى غرفة خاصة، لا يوجد فيها سوى بعض المفروشات ذات المقاعد الطويلة المريحة وبعض آنية الزهور. ثم خرج لإحضار حقائبها. أما هي فانتظرت بتوتر إلى أن دخل غاي الغرفة.

شعرت بانقباض في قلبها، لكنها قالت لنفسها: يمكنك القيام بذلك وأنت باردة كالثلج. عليك أن تكوني مهذبة، باردة وشديدة التحفظ. فأنت مفتونة بهذا الرجل. لكن هذا لن يدوم، لأنك لن تسمحي بذلك.

- ستصل أمتعتك إلى هنا خلال دقائق معدودة. هل تمكنت من النوم؟

- كلا.

وابتسمت ابتسامة آلمت خديها وأضافت: «لكني بخير، شكراً لك».

لم يبدُ عليه أنه لاحظ أي تغيّر في موقفها تجاهه، لكن عليها ألاّ تخدع نفسها.

بدا الجو في الخارج حاراً فشعرت بأنفاسها تكاد تنقطع. كانت هناك سيارة ليموزين بانتظارهما. وباستثناء صوت الطائرة الذي كان يسمع من مسافة قريبة وصوت محرك السيارة، لم تكن هناك أي ضجة بل ساد صمت رائع. كما لم يكن هناك أثر للصحافيين في ذلك المكان أو لأضواء آلات التصوير. أحنى الرجل الذي كان بانتظارهما والذي يرتدي بزة رسمية رأسه لغاي وفتح باب السيارة، وخلف المقود كان السائق منتظراً بهدوء.

جلست لورين على المقعد وقالت بصوت لا يحمل أي تعبير: «الطقس

حارّ هنا كالمناطق الاستوائية، لكن لا أثر للرطوبة فيه».

ولأنها لم تعد تستطيع كبت سؤالها أكثر من ذلك سألته ببرودة وكأن الأمر لا يهمها: «ماذا كنت تفعل بالتحديد في سانت روزا؟».

- لدي مصالح هناك كما لدي أصدقاء.

ثم نظر إليها ورموشه الكثيفة تحجب اللمعان في أعماق عينيه. لم تنبئها نبرة صوته بأي شيء إلى أن قال: «منذ عدة سنوات، أمضيت بضعة أسابيع هناك كرهينة».

- رهينة؟

شعرت بالذعر فسألته بقلق: «كيف حصل ذلك».

- خلال الحرب الأهلية كنت أنقل معدات طبية إلى هناك. ووجدت حكومة سانت روزا أن بإمكانها أن تستخدمني.

هزّ كتفيه بلا مبالاة وهو ينظر مباشرة إلى الأمام فيما السيارة تنطلق بهدوء وتابع قائلاً: «قاموا باختطافي للضغط على ابن عمي ليقوم بدور الوسيط بينهم وبين الثوار».

حدّقت به وسألته: «وما الذي حدث؟».

قال دون اكتراث: «هربت في الليلة التالية».

وظهرت على وجهه ابتسامة سريعة ذكرتها ثانية بالقرصان الذي التقته في المرة الأولى، كذلك فعلت نبرة صوته وهو يتابع: «لم يكن الأمر صعباً، فقد كانوا ضعفاء القلوب».

أغمضت لورين عينيها وقالت: «هل هربت وبقيت في الجزيرة وسط حرب أهلية؟».

- كانوا يشعرون باليأس، وقد أحبيتهم. كانوا يعلمون أن الجمهوريين جاهزون لنقل القبائل عبر الحدود إذا تبيّن أن هناك فرصة حقيقية لقيام معاهدة بين الجهات المتقاتلة. في الواقع، واجهنا غزوة بينما كنت هناك.

شعرت بالرعب من المخاطر التي واجهها وقالت: «واجهنا؟».

رفع كتفيه العريضتين وقال ببساطة: «تورطت بالأمر قليلاً. كانوا يتفوقون عليّ في القتال عبر الغابات، لكن الحرب تعلّم المرء بسرعة».

قالت لورين وقد شعرت بالضيق: «أو تسبب الموت».

- علينا أن نكون مقدامين في الحياة. فالحياة لا تساوي شيئاً إذا كنا سنعيشها ونحن ننظر باستمرار خلف كتفنا.

سارت السيارة بهدوء عبر طريق تشاركها فيها الحمير وأنواع أخرى من العربات التي يقودها شبان راحوا يلوحون مبتسمين بفرح لسيارة الليموزين وهي تمر بالقرب منهم.

ضغطت لورين على شفتيها لتمنع نفسها من الانفجار غضباً في وجه غاي لأنه يتعامل مع حياته باستهتار.

- نحن نتجه نحو ثيلا تقع فوق إحدى التلال، فكرت أن والديك سيفضلان ذلك المكان على الساحل لأن الطقس أكثر برودة هناك!

- شكراً لك.

جاهدت بقوة للتخلص من الإحساس بخيبة الأمل. لسبب ما، كانت تعتقد أنها وغاي سيمكثان في المكان نفسه..

حمقاء! إن أي امرأة عاقلة سترغب بالابتعاد عنه أكبر مسافة ممكنة. لكنها لا تتحلى بالتعقل حين يتعلق الأمر بغاي، وذلك منذ اللحظة الأولى التي رأته فيها.

- ابن عمي، لوكا وزوجته يرغبان بلقائك، لكنهما يعلمان أنك ووالدك تحتاجان إلى الراحة، لذلك من المحتمل أن نراهما غداً.

قالت لورين بلا حماسة: «سأتطلع إلى ذلك بشوق».

كانت أشجار الزيتون تتحرك بسبب النسيم الخفيف، فتلمع أوراقها كالفضة تحت السماء الزرقاء الصافية، كما تنمو النباتات الصغيرة والأزهار

البرية داخل الجدران الحجرية القديمة التي تحيط بالطريق. نظر غاي إليها بعينين باردتين ولكن بنظرات ثاقبة وقال: «ما الأمر؟».

استجمعت لورين شجاعتها واتكأت إلى الخلف مظهرة أسنانها ثم قالت ببرودة: «لا شيء. حسناً، لا شيء أكثر من زواج مزيف من رجل لم يخبرني بأنه أمير».

ارتفع حاجباه كسيفين جاهزين للقتال، ثم قال بنبرة مصقولة: «لم يبد الأمر ذا أهمية في ذلك الوقت».

- معظم الناس قد يعتبرونه كذلك. أما أنا فلم تكن لدي فكرة أنك أحد أفراد الأسرة المالكة في داسيا حتى..

ونظرت إلى ساعتها قبل أن تتابع: «.. نصف ساعة خلت وذلك عندما قرأت تلك المقالة عنك في إحدى المجلات. عندما مررت بتلك المراسم في سانت روزا فكرت للحظة أن اسم عائلة باغاتون مألوف لدي بطريقة غامضة، لكن الأمر لم يكن كافياً ليقرع أجراس الإنذار».

قال برقة: «أجراس الإنذار؟ لِمَ يجب أن تشعري بالإنذار؟».

رفعت لورين رأسها فالتفت نظراتها بنظراته المتألقة، وقالت: «أنا لست معتادة على الزواج من أحد الأمراء، حتى لو كان ذلك من أجل التخلص من وضع سيء».

ردّ عليها بنبرة بالغة التهذيب: «لم أخبرك بالأمر لأنك لم تسأليني. وجدتِ أنني مفيد لك فاعتمدت عليّ. كما أن ذلك لم يكن مهماً.. كان الأمر الأهم في سانت روزا هو تأمين الحماية والأمن لك».

ثم رمقها بنظرة ذات مغزى وقد التمعت عيناه بقوة، وقال: «لم تسأليني من أكون حين ذهبت إليك في فالانو».

منعت لورين سيل الكلمات المندفعة من الوصول إلى لسانها، إلا أنها لم تستطع منع نفسها من القول بسخط: «اعتقدت أنني عرفت من تكون».

قال بنبرة ناعمة: «ربما يجدر بي أن أسألك أنا سؤالاً حقيقياً».

- وما هو هذا السؤال؟

- لِمَ دعوتني للبقاء معك في فالانو؟

شعرت بالإهانة تلهب حنجرتها فانفجرت قائلة دون تفكير: «شعرت بالأسى عليك».

أخفض غاي رموشه وللحظة شعرت بالرعب من التهديد الواضح الذي ظهر في عينيه، لكن صوته جاء مهيناً وبارداً حين قال: «لديك طريقة ساحرة وفعالة في الأسى على الرجال. على أي حال، لم يعد ذلك مهماً الآن، فما نقوله الآن لا علاقة له بالأمر».

ثم تابع يقول: «بالإضافة إلى حبي لابناء عمي وسكان الجزيرة، تربطني روابط عاطفية قوية ببلادي داسيا. أمير داسيا لديه صبي في الرابعة من عمره وهو حاد الذكاء، كما أنه قد يرزق بطفل آخر قبل نهاية هذه السنة. وهكذا، فإن داسيا بخير من دوني. وهذا الوضع يسعدني جداً».

قالت بصوت بارد كتعابير وجهها: «أنت محظوظ، فكل ما هو ملكك يسير على ما يرام وليس عليك تحمّل المسؤولية».

هزّ كتفيه قائلاً: «أعتقد أنك تلقين اللوم عليّ بسبب التصرفات المجنونة للصحافة في المطار».

قالت بهدوء: «لا، لكن كان بإمكانك أن تخبرني من أنت عندما أتيت إلى نيوزيلندا لتحذرني من أن زواجنا قد يكون شرعياً. أظن أنك خشيت أن أحاول ابتزازك بمبلغ كبير من المال مقابل إجراء طلاق سريع».

قال بنبرة لا مبالية: «أستطيع التعامل مع من يحاولون ابتزازي. ربما كان علي أن أخبرك، لكن الإعلان أمام أشخاص لا يبدون أي اهتمام بأنني أمير، يبدو لي نوعاً من التباهي».

- أعتقد أنك على حق.

قال بصوت أكثر قساوة: «أما بالنسبة للصحافة، فلا أظن أن الصحفيين كانوا ليتظرونك في لندن لو لم أكن ما أنا عليه. يؤسفني أن ذلك قد حصل، لكنني لست مسؤولاً عن أولئك الذين يعيشون على الأقاويل التي تطال الأمراء والنجوم وأبطال الرياضة».

شعرت لورين أنها صغيرة وضيقة الأفق، وقالت بصوت يخلو من أي تعبير: «بالطبع، أنت لست مسؤولاً عن ذلك».

أمسك غاي يديها المتوترتين بيده القوية الدافئة وقال: «لكن معرفة من أكون ما كان ليحدث أي فرق في سانت روزا.. كان عليك أن تقبلي بالزواج بي حتى لو اضطررت إلى توجيه المسدس إلى رأسك».

تسارعت دقات قلبها واندفع النبض قوياً في معصمها تحت لمسات أصابعه. وبالطبع لاحظ غاي ذلك، فبعد لحظة مشحونة بالتوتر قال بصوت أجش: «عاهدت نفسي بألاّ ألمسك».

أجبرت لورين نفسها بالرد عليه: «إذن، لا تفعل. فهذا ليس ضرورياً!».

أبعد يده عن يديها، لكن عندما ابتعدت السيارة عن الطريق الرئيسية وبدأت بالصعود، قال متعمداً: «يبدو أنني لست قادراً على نسيان أننا كنا حبيبين لعدة أيام. ماذا عنك أنت؟».

شعرت لورين أن عظامها تذوب لذكرى تلك الأيام. وساورها ندم مرير، فقالت بعناد: «تلك الأيام أصبحت كأنها خارج الزمان.. مغامرة جميلة في المنطقة الاستوائية. أما الآن فقد انتهى ذلك وها قد عدنا إلى العالم الواقعي».

ضحكته الساخرة صدمتها. رمقته بنظرة جانبية فشعرت بالارتجاف لرؤية ذلك التصميم القوي في ملامحه، ثم قال بهدوء: «كاذبة».

وعندما فتحت فمها لترد عليه أسكتها بوضع إصبعه على فمها. فنظرت

إلى وجهه الوسيم المتكبر بصمت وهي تحاول مقاومة موجة المشاعر الهائلة التي اجتاحتها.

قال بنبرة مذهلة مشدداً على كل كلمة يقولها: «لا يهم كم نعاني للتظاهر بغير ذلك فعندما ألمسك نشعر كلانا بذلك التيار الكهربائي بيننا. لا تحاولي إقناعي أو إقناع نفسك بأنه غير موجود. ما نحتاج إليه الآن هو أن نعرف كيف ستتعامل مع هذا الأمر».

ثم أبعد إصبعه عن فمها وعاد ليجلس بارتياح على مقعده.

قالت لورين بنبرة عناد قوية: «لن نفعل شيئاً بهذا الخصوص».

كانت تشعر بالارتجاف في داخلها، لكنها أبعدت نظرها عنه وأخذت تحدق من خلال النافذة إلى الخارج وهي لا ترى شيئاً، وتصاعد غضبها عندما ظل غاي صامتاً ولم يجبها.

الڤيلا القائمة على التلال هي عبارة عن منزل تم ترميمه وطليت جدرانه باللون الزهري وأبوابه ونوافذه باللون الأخضر الداكن. وقد انتشرت حوله الحدائق. سرعان ما أخذت لورين بسحر المكان، فانحنت قليلاً إلى الأمام لتتأمله جيداً فيما السيارة تواصل صعودها.

قال غاي معلّقاً: «وفقاً لتاريخ العائلة، تم بناء هذا المنزل في القرن التاسع عشر لعشيقة أحد الأمراء، وهي من ڤينيسيا وكان لديها عدد كبير من الأطفال لكن الأمير كان يمضي معظم أوقاته هنا».

قالت لورين بضيق: «ولمَ لم يتزوج بها؟».

- كان متزوجاً من امرأة صارمة جداً. وتقول القصة إنها لم تضحك يوماً.

قالت لورين بقسوة: «ما كنت لأضحك أنا أيضاً لو أن زوجي وضع عشيقته أمام عيني».

وكانت السيارة قد خففت سرعتها فأمسكت بحقيبة يدها، لكنها أدركت

على الفور أنها أخطأت. رفع غاي حاجبيه ونظر إليها وعلى وجهه ابتسامة ملتوية: «هل الخيانة الزوجية هي ما يزعجك أم تباهيه بعشيقته؟».

قالت باقتضاب: «كلاهما».

وتمنت لو أنها تستطيع أن تخبره بحقيقة علاقتها بمارك، لكنها بالطبع لا تستطيع. لأن هذا ليس سرّها هي.

ظهرت أمها من خلف الظلال عند مدخل المبنى، جميلة، متماسكة كعادتها. نظرت إلى ابنتها بعينين صافيتين شفافتين، إلا أن ابتسامتها بدت قلقة وحركاتها حذرة على غير طبيعتها. أسرعت لورين بالخروج من السيارة وعانقت أمها بسرعة قائلة: «كيف حال أبي؟».

ابتسمت إيزابيل لغاي وقالت: «بخير! إنه ينتظرك في الداخل».

وبينما كانت لورين تصعد السلالم بخطى سريعة سمعت أمها تقول: «غاي، شكراً لك لأنك نظمت الأمر بهذا الشكل. لا أدري ما كنا سنفعل من دونك».

نبرة صوتها أظهرت بوضوح أنها تحبه. وفكرت لورين بسخرية باردة أن ذلك ما تشعر به كل النساء حياله. سارت إلى داخل المنزل حيث الجو البارد اللطيف لتجد والدها بانتظارها في غرفة جلوس كبيرة مزينة باللونين القشدي والذهبي مع لمسة من الأخضر الفضي الذي يشبه لون أشجار الزيتون ما يدل على ذوق رفيع ومرهف.

- مرحباً.

حيّت والدها واندفعت تضمه بقوة، فشدها إليه بدوره ما جعلها تشعر بالارتياح. تراجعت قليلاً إلى الوراء ونظرت إليه قائلة: «ها نحن نعلم الآن أن باستطاعتك السفر بالطائرة بدون أي مشاكل صحية. فلا عذر لديك بعد اليوم للبقاء في المنزل».

ابتسم لها قائلاً: «يبدو أنني بحاجة إلى ممرضة لتعتني بي دائماً. لكني

وصلت إلى هنا بسلام. وأنت، كيف حالك، عزيزتي؟».

- أشعر بالتعب بسبب قلة النوم.

وأخبرته عن بعثة الطلاب الذين التقتهم في الطائرة فراح يضحك. وعندما انتهت قال غاي من ورائها: «لدي موعد بعد عدة دقائق، لذا عليّ المغادرة الآن. أرجو أن تتمتعوا بإقامتكم هنا».

أجفلت لورين، إلا أنها عادت وتذكرت قواعد حسن التصرف فقالت: «سأرافقك إلى الخارج».

تراجع غاي قليلاً لتسير أمامه عبر الباب. وما إن أغلق الباب خلفهما حتى قال: «لتتمشى في الحديقة لعدة دقائق».

- لماذا؟

ارتفع حاجباه وقال: «لأن الجو هناك ألطف مما هو عند المدخل تحت أشعة الشمس. مع أن الطقس في داسيا حار كما هو في سانت روزا أو فالانو، لكن الشمس ستحرق بشرتك البيضاء».

شعرت بحماقتها وقالت: «آه، نعم، لا بأس!».

وقفا في ظل شجرة كبيرة وقال غاي بنبرة لاذعة: «هل تشعرين بالرضى لأن والدك لم يتعرض لأي أذى بسبب الرحلة بالطائرة؟».

حبست لورين دموعها وابتسمت له بتوتر قائلة: «يبدو رائعاً. كلاهما يبدوان كذلك. آه.. غاي، هل علي أن أناديك سمو الأمير أمام الآخرين؟».

قال بسرعة: «كلا».

وجاء صوته قاسياً وبارداً. فقالت: «لا أريد أن أخرق القواعد في التعامل مع أفراد أسرتك».

ابتسم غاي ابتسامة عريضة أظهرت أسنانه وقال بسخرية لا يشوبها أي حرج: «ما حصل بيننا نحن الإثنين خرق كل القواعد، حتى غدت هذه الأمور بلا قيمة. عندما تقابلين لوكا للمرة الأولى ناديه «صاحب السمو الملكي»،

بعدئذٍ يمكنك مناداته بالسيد إلى أن يقول لك بنفسه ألاّ داعي للتعلق بالشكليات. والأمر نفسه ينطبق على ألكسا، مع أن لديها ميل إلى الضحك عندما يناديها أحدهم سيدتي».

بدا أنه اكتفى من هذا الكلام فقالت لورين: «شكراً. في الواقع، شكراً لك على كل شيء. وآسفة لأننا تسببنا لك بكل هذه الفوضى..».

قاطعها بحدّة ونفاد صبر: «لا تكوني حمقاء. من الطبيعي أن أشعر بالمسؤولية حيال هذا الوضع. سأفعل كل ما أستطيعه لتسهيل الأمور عليك. والآن عودي إلى المنزل وتناولي طعامك وتحدثي إلى والديك، وما إن يهبط الظلام أخلدي إلى النوم. هل تجيدين ركوب الخيل؟».

رمشت بعينيها وقالت: «نعم. حسناً، بمستوى نادي الفروسية».

لمس خدها بإصبعه بتحبب وقال: «سآتي لاصطحابك غداً صباحاً بعد موعد الفطور مع حصان يناسبك. نامي جيداً».

- كلا.. غاي.. هذه ليست فكرة جيدة.

ارتفع حاجباه الأسودان وقال: «أتعنين النوم؟ أظنها فكرة ممتازة».

صرّت على أسنانها وقالت: «لا أريد تقديم المزيد من الأخبار للصحف.. أليس من الأفضل أن تبقى بعيدين عن بعضنا البعض خاصة إذا كان علينا أن نفسخ الزواج؟».

قال بصوت بارد كالثلج: «اكتشافنا أن الزواج قد يكون شرعياً لن يحولني إلى متهّم على صفحات المجلات».

اتسعت عيناها وهي تنظر إلى وجهه القاسي: «أعلم ذلك، لكن..».

قاطعها دون مراعاة لقواعد التهذيب: «ابن عمي، لوكا، هو الحاكم المطلق هنا، وهو بمثابه ديكتاتور إذا صحّ التشبيه. وهو يعمل هذه الأيام على إرساء نظام ديموقراطي للحكم، مع أن ذلك يبدو أحياناً مناقضاً لمصلحته. ومع ذلك ما زال بإمكانه أن يطرد أي شخص لا يرغب في وجوده على

الجزيرة. فإذا حاول أحدهم التجسس، سوف يقوم بطرده ومعاقبته».

ومع أن وجهه بدا متجهماً إلا أن صوته غدا أكثر رقة وهو يضيف: «لِمَ تظنين أنني أحضرتك إلى هنا؟».

قالت لورين بقلق: «أرجو أن تكون محقاً».

ثم ابتسمت له، فكانت تلك غلطة من قبلها، إذ راح قلبها يتخبط في صدرها حين بادلها الابتسام.. ابتسامة خطيرة قاتلة تحمل وعوداً خفية..

أحنى غاي رأسه وعانقها عناق وداع قصير. ولم يكن هناك داعٍ لتشعر بأن عظامها تذوب بسبب عناقه. تحوّل الدفء في عينيه إلى سخريّة وهو يقول: «أما بالنسبة إلى سكان سانت روزا، فلا تقلقي بشأنهم. صدقيني، فهم لا يهتمون بأخبار المجتمع والثرثرات التي تدور فيه، ذلك أن لديهم أموراً أكثر أهمية ليقلقوا بشأنها».

قبيل الصباح فتحت لورين عينيها ببطء شديد، وأدركت أنها تحدّق في الستائر المحيطة بسرير كبير ذي أعمدة حديدية أربعة. ثبتت هذه الستائر حول الأعمدة كأنها سطح خيمة انتصبت في وسطها منحوتة تمثل شعار العائلة المالكة: النمر.

إنها في داسيا واقعة في غرام أحد أمرائها. لا، إنها ليست واقعة في غرامه.. إنها معجبة به، مفتونة به.. لكنها لا تحبه مطلقاً! سوف يتأكد لها ذلك ما إن تعود إلى عملها، سوف تعرف أن تلك كانت مجرد مغامرة، مغامرة بعيدة تماماً عن نظام حياتها المعتاد..

تجهّم وجهها، وتساءلت لما تجد أن من الصعب إقناع نفسها بأن ما تشعر به نحو غاي ليس سوى إعجاب مؤقت.

صحيح أن الحقيقة مؤلمة، لكن عدم مواجهتها يؤدي إلى ألم أكبر. لذا من الأفضل لها أن تتقبل الأمر، وتتجاهل معاناة قلبها لتتابع حياتها بأمان. لكن، ليتها تستطيع أن تكون فتاة باردة مغرورة، فذلك سيسهل المسألة

عليها.. بقاؤها في داسيا سيزيد من ألمها وعذابها.

على الرغم من ذلك، فهي لا تشعر بالندم لأنها التقت بغاي.

استغرقت في النوم من جديد، لتنهض في ما بعد وهي تشعر بألم في رأسها وبمزاج سيء. وعلى العكس منها تماماً، بدا والدها بأفضل حال عند تناول الفطور. فكرت بتصميم قوي وهي تصعد الدرج لتبدل ملابسها أنها تستطيع احتمال أي ألم ما دام ذلك يوفر الطمأنينة لوالدها. دخلت إلى غرفتها لترتدي بنطلوناً من الجينز وقميصاً قطنياً اشترتهما من نيوزيلندا. سمعت طرقة على الباب، وإذا بأمها تدخل وعلى وجهها ابتسامة ما لبثت أن بهتت.

- تبدين بحال أفضل.

- والدي أيضاً يبدو كذلك.

غدا صوت أمها أكثر نعومة وهي تقول: «إنه يحب هذا الطقس. في الواقع، هو معجب بداسيا أيضاً. عزيزتي، أنا سعيدة جداً لأننا هنا. لن أتمكن أبداً من شكر الأمير بصورة كافية على إنقاذك مرتين، إحداهما في سانت روزا والأخرى من الصحفيين في المطار».

ثم تأملت وجه ابنتها بنظرات متمهلة وقالت: «لقد كان رائعاً بالأمس.. بعد أن اتصل بنا، قام بتنظيم كل شيء حتى وصولنا إلى هنا بالطائرة. والدك أحبه كثيراً، وأنا كذلك. ما رأيك أنت به؟».

شعرت لورين بانقباض في قلبها، وقالت بنبرة جافة: «أنا شديدة الامتنان له، لكنه يشبه مارك كثيراً.. يحاول السيطرة على كل شيء».

سمعا طرقة أخرى على الباب، وإذا بإحدى الخادمات تدخل لتخبرها بابتسامة عريضة أن الأمير غاي قد وصل لاصطحابها في نزهة على الخيل. قالت أمها بصورة آلية: «تأكدي من وضع كريم واق للشمس».

ثم ضحكت من نفسها قائلة: «أعلم، أعلم.. مستحضرات التجميل الحديثة تحتوي على واق بذاتها. أظن أنني سوف أتوقف عن لعب دور الأم

التي تبالغ في العناية بابنتها ما إن تتزوجي، أعني زواجاً حقيقياً».

النبرة الحادة في صوتها جعلت لورين تقول بحزم: «هذا ليس من ضمن أولوياتي في الوقت الحاضر».

ردّت إيزابيل بعد لحظة من التردّد: «عندما تقابلين رجل حياتك، أرجو أن تضعي فوق كل الاعتبارات إمكانية العيش بسعادة معه».

التقت عيونهما، فقالت لورين بهدوء: «عندما ألتقي به سوف أعلمك». فأومأت أمها موافقة.

كان غاي يمتطي حصاناً رمادي اللون، وفكرت لورين أنه يبدو كأمير قادم من الأساطير. ما إن أصبحت في الخارج تحت أشعة الشمس، حتى ترجل حوذي عن الحصان الآخر وعلى وجهه ابتسامة عريضة وفي يديه قفازان أبيضا اللون. حيّتهما لورين وقفزت على صهوة الجواد. لزمها عدة دقائق قبل أن تحكم السيطرة والتركيز لتبقى على ظهر الحصان. راقبها غاي باهتمام، واقترب منها ليتمكن من مساعدتها إذا ما ساءت الأمور.

تمكنت من السيطرة على الحصان بثقة ثم نظرت حولها. وهدأت مخاوفها كلها بصورة مؤقتة بسبب البهجة الكبيرة التي تشعر بها وهي ترافق غاي في هذه النزهة الصباحية. يا له من صباح مشرق يزهو بالجمال والانتعاش وبعطر الزهور! بدا البحر أمامهما ممتداً على امتداد الشاطىء كالحرير الأرجواني. عندما طال الصمت بينهما لم تجد تعليقاً ذكياً لتقوله، وكل ما تمكنت من قوله: «هذا الحصان يملك إحساساً قوياً».

سيطر غاي على حصانه دون أي جهد.

- إنه حصان للتدريب.

ابتسمت لورين ابتسامة عريضة جافة وقالت: «إنه يناسبني تماماً».

- في المرة القادمة سوف نجد لك حصاناً أفضل من كارلوس العجوز هذا.. فأنت تجيدين ركوب الخيل ويمكنك امتطاء حصان أفضل من هذا

الحصان الكسول.

يا للسخافة! إن إطراء بسيطاً منه كفيل بأن يجعل خديها متوردين كخدي تلميذة مدرسة.

- هذا كلام غير منصف بحق كارلوس.. إنه حيوان حساس جداً.

ثم أضافت بعد قليل: «كما أنني لست خبيرة بالفروسية مثلك».

قال بجفاء: «تقاليد أسرتنا تقضي بأن نتعلم ركوب الخيل قبل أن نتعلم السير تقريباً».

لا شك في ذلك. وفجأة، هبطت روحها المعنوية حين تذكرت أنه ينتمي إلى عالم رفيع المستوى وهو من رجال الأعمال المميزين، وأن هذا العالم لا يمت بصلة إلى عالمها.

على الرغم من الإحباط الذي شعرت به، راحت تنظر حولها إلى ذلك المكان الرائع المليء بالألوان. شعرت بعطر الهواء المنعش الذي يلفح بشرتها، وأصغت إلى صوت العصافير المغرّدة، وفكرت أنها لم ترَ مثل هذه الطبيعة الرائعة في حياتها. وسألته: «هل كل داسيا جميلة هكذا؟».

- أعتقد ذلك، لكنني قد أكون متحيّزاً في رأيي هذا. وأنت ما هو المكان المفضل لديك؟

قالت بفرح: «أحب غابة الجريس ذات الأزهار الزرقاء في الربيع».

ثم أضافت بصدق: «لكنني أحب باريس في كل الفصول».

علّق متشدقاً: «أهي مدينة الذكريات الحميمة؟».

وبدت كل كلمة من كلماته حادة ومميتة كحد السيف.

أتراه يغار؟ لا! قد تكون الغيرة كلمة قوية على هذا الموقف.. لكن قد يكون محباً للتملك، وهو يعلم أن مارك يعيش في باريس.

٩ ـ نداء الواجب لم.. الحب!

قالت لورين ببرودة: «ذهبت مع والديّ برحلة إلى هناك حين كنت في الثامنة من عمري. وصلنا إلى قوس النصر في عيد الباستيل، وأضعت قلبي هناك. وفي كل مرّة أعود إلى هناك، أجد شيئاً جديداً رائعاً لأحبه».

قال غاي بنبرة محايدة: «رئيسك.. هو نصف فرنسي، كما أعتقد».

- إنه كذلك.

من ناحية أمه، أما والدهما المشترك فهو من نيوزيلندا. استقامت في جلستها وقالت بمرح: «أحب ركوب الخيل عبر المروج الملبّدة بالأزهار كهذه. لكن من المؤسف أن تدوس الخيول على الأزهار بهذا الشكل».

- هذه الزهور تستعيد عافيتها بسرعة. هل ترغبين بجعل الحصان يعدو قليلاً؟

- إذا تذكرت كيف أقوم بذلك.

وشعرت بالفرح لأنها فعلت ذلك بسهولة، فقالت: «ذلك سهل كركوب الدراجة».

عندما وصلا إلى مقصدهما، بدت سعيدة ومشرقة. امتدت أمامهما مرجة تحيط بها الصخور تطل هذه المرجة على منظر رائع على البحر، حيث يعكس الأفق البعيد ظلالاً زرقاء تمتد فوق الأراضي الأوروبية.

بعد أن نزلا عن ظهري الحصانين ليرتاحا تحت ظلال أشجار الصنوبر، سارت بقرب غاي فوق العشب الطري العطر وعلّقت قائلة: «هناك شيء

خاص ومميّز في الجزر.. أتساءل ما هو!».

قال غاي: «إنها الحرية».

ثم استدار ليشير إلى جزيرتين صغيرتين عند ساحل داسيا قائلاً: «الجزر تخبىء بعض الأسرار والغموض، إنها أمكنة خارج الزمان والحياة العادية. كل شيء يمكن أن يحدث على الجزيرة تقريباً».

حدّقت لورين طويلاً بكتفيه العريضتين وبجسده القوي الرشيق، فالتمع في داخلها إحساس قوي وخطير كالبرق.. إحساس لا يمكنها مقاومته.

قالت بسرعة: «قد تكون على حق. ربما تعمل الشواطىء على إخراج كل حسّ بالمغامرة في داخلنا».

تشدق قائلاً: «هل تقولين إن الرمال الحارة وأشجار جوز الهند في فالانو هي التي جذبتك إليّ؟».

ظلت لورين تحدّق بالخط الأبيض للشاطىء البعيد بينما كانت تجلس على إحدى الصخور، وقالت: «أنت تعلم أن ذلك ليس صحيحاً».

قال غاي بنبرة حادة: «تحدثت مع محاميّ الليلة الماضية».

ابتلعت لورين ريقها وسألته: «وماذا أخبرك؟».

- أخبار غير جيدة؛ الزواج قانوني، وفسخه أمر غير محتمل كما نعتقد.

ساورها إحساس غريب هو مزيج من الندم والحزن معاً جعلها ترد بصورة لا إرادية: «أتمنى لو أن شيئاً من ذلك لم يحدث».

قال بصوت خفيض خال من أي تعبير: «ليس أكثر مني. صدقيني».

راحت لورين تنظر إلى يديها. فمع أنه وافقها، إلا أن جوابه سبب لها الألم. فقالت: «إذن، ماذا سنفعل الآن؟».

قال بحدة: «سنقبل بهذا الزواج».

وسيطر بذلك على غضبها ورغبتها بالاعتراض بقوة وسلطة كبيرتين ثم تابع يقول: «وسنعلن يوماً للاحتفال بزواجنا بصورة رسمية هنا في

الكاتدرائية».

قفزت واقفة على قدميها، ثم اقتربت منه وهي تشدّ على يديها بقوة ثم قالت: «لا! لن أقبل..».

نظرته الباردة كنهر من الجليد أسكتتها، وسمعته يقول: «بالأمس، وبينما كنا على متن الطائرة القادمة إلى هنا، نشر أحد الصحفيين المزعجين في بريطانيا معلومات عن الأيام التي قضيناها في فالانو على الصفحة الأولى».

مرّت في رأسها ذكرى تلك الأيام التي أمضتها بين ذراعيه، ما جعل خديها الشاحبين يتوردان. استرقت نظرة إلى وجهه، كانت كافية لتدرك أنه لم يفقد سيطرته على نفسه مطلقاً، على العكس منها. شعرت بألم قوي في داخلها فهزّت رأسها قائلة: «أستطيع تحمل ذلك. وأنا واثقة أن بإمكانك ذلك أيضاً. ففي النهاية، هذه ليست المرة الأولى التي تنشر فيها الصحف أخبار علاقاتك بالنساء».

قال بحزم: «لكنها المرة الأولى التي تكون فيها المرأة غير مدركة لما سيحصل. لو كنت تعرفين من أكون لما كان للأمر أهمية تذكر».

إذن، هو يعرف ذلك، ولو أنه يجهل أموراً أخرى بشأنها. خفف هذا الاعتراف من غضبها للحظات، لكن الكلمات التي تفوه بها بعد ذلك أعادتها إلى حالة اليأس والغضب.

- سنفعل ما تريدينه. لكنني أقترح أن نبقى متزوجين لستين أو أكثر، وبعد ذلك يمكنك الحصول على الطلاق. وبالطبع، سأحرص على ألاّ تقلقي بشأن المال بعد اليوم.

- أتعني أنك ستدفع لي أجراً؟ لا، شكراً لك!

كان عليها أن تختار كلماتها بحذر وعناية. تابعت تقول بنبرة عادية لتخفي الألم الذي سببه لها اقتراحه: «الزواج بك هو موضوع غير قابل للنقاش».

غدت ملامحه أشد قسوة وهو يقول: «نحن متزوجان فعلاً، ولا شيء

سيغيّر ذلك سوى الطلاق. إما الآن أو بعد ستين. وقبل أن تضيفي المزيد، من الأفضل أن تلقي نظرة على ما كتب في الصحف من هراء».

وسحب جريدة من جيبه الخلفي وناولها إياها. بجانب صورة تظهرها وهي مرتعبة في المطار، راحت تقرأ: «هل هذا الزواج حقيقي؟».

ثم نظرت إلى بقية الصحفة برعب وتابعت القراءة: «سبق صحفي مع كافة التفاصيل».

«عش الغرام في المنطقة الاستوائية يحتضن الأمير وعروسه المتحدرة من طبقة العامة».

شعرت لورين بالغثيان فأغمضت عينيها. وما إن أصبحت واثقة أنها تستطيع التكلّم بهدوء حتى قالت: «اعتقدت أن الأمر سيكون أسوأ من ذلك».

قال بغضب حاد كحد السيف: «هذا سيء بما يكفي».

هزّت كتفيها وأعادت إليه الصحيفة ثم قالت ببرودة: «ذلك لن يحدث أي فرق».

- بأي شأن؟

- بشأن جوابي حول الزواج بك.

- كان ذلك مجرد اقتراح.

- لكن أسبابه خاطئة.

وإذا به يتمسك بكلامها فيقول: «فلنبحث إذن عن الأسباب الجيدة لهذا الزواج».

على الرغم من شعورها بالألم، كان عليها أن تنتزع كل كلمة من أعماقها بقوة، فقالت: «لا أريد زواجاً دون قيمة قدره أن يفسخ بعد سنوات».

قال بفظاظة: «لم يبدُ عليك الانزعاج هكذا ونحن في سانت روزا».

رفعت يديها كأنها تتجنب صفعة، ثم أنزلتهما واعترفت قائلة: «أعرف

ذلك، وأنا ممتنة حقاً..».

قال غاي من بين أسنانه: «لا أريد امتنانك».

تابعت بعصبية: «لم أتوقع حصول كل هذه الأحداث. أريد فقط أن ينتهي كل ذلك وأعود إلى حياتي الطبيعية».

غدا وجهه داكناً وظهر ذلك جلياً على خطوط خديه ثم قال: «وتنسين أنك قابلتني يوماً؟ هل يمكنك أن تفعلي ذلك؟».

مع أنه لم يلمسها.. لم يضع إصبعاً عليها، إلا أنها شعرت بقوة غريبة تشدها إليه وكأنها مربوطة به بخيط من الفولاذ. وفكرت أنها إذا وافقت على هذا الزواج فسوف تنهار كلياً لأنها ستقع في حب رجل لا يبادلها الحب. قالت بضيق: «يمكنني المحاولة».

شدّت بقوة على يديها المرتجفتين وهي تضعهما خلف ظهرها، ثم حدّقت به وفي عينيها يأس كبير: «غاي، لا أستطيع القيام بذلك. لا أعرف كيف أتصرف في عالمك».

عقد حاجبيه قائلاً: «ألكسا محبوبة جداً من الناس مع أنها لم تنشأ كأميرة. لقد تعلمت كيف تكون كذلك، وهذا سيحدث معك».

قالت بنبرة طفولية: «لا يمكنك أن تجبرني على ذلك».

ابتسم ابتسامة عريضة، فبدا مسيطراً، خطيراً وجذاباً إلى أبعد الحدود، ثم قال ببطء: «أعتقد أنني أستطيع ذلك، لكن لا يبدو لي ذلك ضرورياً».

عندئذٍ قامت لورين بأكبر مخاطرة في حياتها حين قالت بصورة فجائية: «أنا لست كما تظنني. مارك كوربت هو أخي غير الشقيق كما هو رب عملي. كانت أمي على علاقة بوالده».

أبقت كتفيها مرتفعتين على الرغم من الألم الذي تشعر به. نظرت إلى وجهه الذي لم تظهر عليه أي تعابير. ثم ساد الصمت للحظات طويلة.

عندما بدأ غاي بالكلام كانت أعصابها مشدودة، حتى إنها أجفلت من

كلماته القاسية: «فهمت. على أي حال، ذلك لن يشكل أي فرق فالجميع يعلم أن ألكسا زوجة لوكا، هي ثمرة حب بين أمير إيليريا الأكبر وجدتها».

– أنا واثقة أن الأمر مختلف، فهي تحمل دماء ملكية.

ثم تابعت بهدوء: «لا أستطيع».

لكن كلماته التالية أدهشتها: «هل يعلم والدك.. بورتر.. بالأمر؟».

هي من بدأت بهذا الحديث، عضّت على شفتها وقالت: «اكتشف ذلك عندما أصيبت باللوكيميا».

ظل غاي صامتاً ولم يعلق على كلامها، فرفعت بصرها إليه. لم يبدُ على وجهه أي اهتمام أو تأثر.. لا شيء إلا تركيز أثار انزعاجها حتى العظام.

– إذن، بقيت أمك صامتة وتركت والدك يعتقد أنك طفلته.

مع أن صوته بدا طبيعياً إلا أنها لاحظت عدم رضاه. فقالت وكأنها تمنعه من متابعة الكلام: «لن أسمح لنفسي بمحاسبة أمي..».

قاطعها غاي: «إنه عمل رهيب، خداع رجل يؤمن أن الطفلة التي أحبها وحماها ودلّلها هي من لحمه ودمه وهي جزء من روحه».

نظرت إليه مدافعة إلاّ أنها عادت وتنهدت قبل أن تقول: «نعم، لكن لكل شيء ثمنه. على كل حال، أنا ابنته، أقنعني بذلك بعد أن شفيت من مرضي».

– هذا واضح. شكراً لك لأنك أخبرتني بالأمر. لكن هذا لن يغيّر ما اتفقنا عليه.

وابتسم دون مرح ثم اقترب منها ليمسك بيديها الباردتين بين يديه.

ارتجفت أصابعها وقالت: «لكن إذا اكتشف أحدهم...».

هزّ كتفيه العريضتين بلا مبالاة وقال: «سأحمي والديك قدر استطاعتي».

ثم رفع يديها إلى فمه، فقبّل راحة إحداهما ورسغ الأخرى، وابتسم

برضى عندما ارتجفت من التأثر. فقالت معترضة: «لا تحاول استخدام جاذبيتك للتأثير عليّ».

فسألها بصوت خفيض وخطير أرسل الرجفة في عمودها الفقري: «وهل أستطيع ذلك؟».

قالت كاذبة: «كلا».

فكل خلية من خلايا جسمها كانت تهتف باسمه، وهي تشعر بلهفة وتوق للارتماء بين ذراعيه.

- كاذبة!

وأفلت يديها.. ثم تابع يقول بصوت رتيب: «أخبرني لوكا هذا الصباح، أن وفداً من سكان الجزيرة قد زاره ليلة الأمس. يبدو ان الجميع يعتقدون أن قصتنا رومنسية جداً، وهم مصرّون على إجراء مراسم زفاف لنا هنا في داسيا».

سارت لورين إلى الظل حيث تركا الحصانين، وهي تحاول يأس السيطرة على مشاعر الحزن التي تهدد باجتياحها، وقالت: «اعتقدت أن ابن عمك يسيطر تماماً على وسائل الإعلام هنا».

- لا يمكنه أن يسيطر على الموجات اللاسلكية، كما أن أجهزة التلفزيون في الجزيرة متصلة مباشرة بالمحطات الإيطالية، وهذه الأخيرة مليئة بالأخبار.

توقف قليلاً عن الكلام، ليتابع بعد قليل وقد ظهرت اللهجة الأصلية بوضوح وبصورة مفاجئة في كلامه فغدت أقوى وقال: «إذا اعتقد الناس هنا أنني استعملت قسم الزواج لأحصل على حبيبة مؤقتة ثم أتخلى عنها بسهولة، فسوف أفقد احترامي بينهم، وكذلك لوكا. سيبدو الأمر وكأنني أتعمد إهانة قدسية الزواج».

ابتلعت لورين ريقها لتخفف من جفاف حلقها وقالت: «أستطيع أن أفهم مشكلتك أنت في الموضوع، لكن ما دخل ابن عمك بذلك؟».

- لأنه ابن عمي وهو رأس العائلة، وهذا مهم جداً في داسيا. سيبدو الأمر وكأنه لا يملك سلطة فعلية عليّ. وإذا كان الرجل غير قادر على السيطرة على عائلته فهل سيثق به الشعب وبحكمه؟

أغمضت لورين عينيها، وفكرت بحزن: لن أستطيع مقاومة ذلك! إذا فقد غاي سمعته فذلك سيسبب له الألم بسبب شعوره بالواجب المتوارث تجاه سكان الجزيرة. لن تسمح لبؤسها الشخصي بسبب خسارتها لحبها أن يقف في وجه آماله حول مستقبل سكان الجزيرة. إلا أن طبعها المقاوم لا يسمح لها بالاستسلام بسهولة. أخذت نفساً عميقاً وقامت بمحاولة أخيرة: «إذن، فهو يراهن عليك كي تعلن هذا الزواج بصورة توافقية».

رفع غاي كتفيه بلا مبالاة وقال: «لا أحد يمكنه المراهنة عليّ بسهولة. ولوكا لا يفعل ذلك. لكنني أتفهم الوضع جيداً، وأنا أوافقه عليه».

شدت بقوة على أسنانها وقالت: «إنه أمر مهم لك، أليس كذلك؟».

ظل صامتاً لفترة طويلة، فأدارت رأسها لتنظر إليه. آلمها حزنه وفكرت أنها لم تره يوماً أشد حزناً. إنه رجل معتاد على السيطرة الكاملة والسلطة، وها هو اليوم يواجه قراراً كريهاً.. إنه يتقبل زواجاً مزيفاً بسبب الإحساس بالواجب.

كانت الشمس تعكس أشعتها على شعره الأسود، فأومأ قائلاً: «أدين لأسرتي ولسكان داسيا بأفضل ما أستطيع القيام به».

- المجتمع هنا محافظ، والناس متدينون، وهم يقدّسون قسم الزواج.

لم يقل لها إن شيئاً من ذلك ما كان سيحصل لولا دعوتها له للبقاء عندها في فالانو. فما من ضرورة ليقول لها ذلك، كما أنه ما من ضرورة لأن يقول بأن والديها سوف يشعران بالإحراج بسبب الأقاويل التي ستدور إذا ما استمرت في رفضها له.

إنها مثل أمها.. تبعث قلبها إلى منطقة خطرة، لو أنها حافظت على

تعقلها لما وجدت نفسها الآن في هذا الوضع الحرج. تعلقت بحب كانت تعرف سلفاً أنه سيعرضها للألم والمهانة. لكن هذا الزواج مهم جداً بالنسبة لغاي، لذا ستقبل به. قالت بصوت هادىء: «يبدو أنني لا أملك خياراً آخر، وليس من العدل أن تدفع أنت ثمن تصرف قمت أنا به».

- ماذا؟

رفعت ذقنها ثم قالت: «أنا من أغويتك في فالانور».

فاجأها اللمعان الذي ظهر في عينيه، وفاجأها كلامه أكثر حين قال: «لقد منحتني الدفء واللطف والحنان. جعلتني أرى عالماً آخر مختلفاً عن ذلك العالم المتوحش الذي عرفته في سانت روزا. ومع أنني أعرف تلك الأمور معرفة ذهنية، إلا أنني لم أختبرها إلا بين ذراعيك».

فقالت لورين بهدوء: «لم أدعك للبقاء معي يومها بسبب شعوري بالأسى نحوك».

بدت ابتسامته غامضة حين قال: «هذا لا يهم. كان باستطاعتي رفض دعوتك والابتعاد عنك. لذا نحن مسؤولان عن هذا الأمر معاً، لورين. وأنت لم تقبلي بهذا الزواج بسبب انجراف عاطفي تحت تأثير ضوء القمر في المنطقة الاستوائية».

ثم استدار فجأة وقال: «تستطيع المسؤولة الإعلامية لدى لوكا أن تحدّد غداً يوماً للاحتفال بالزواج».

قالت دامعة العينين: «وماذا سيحدث بعد ذلك؟».

أجاب غاي بهدوء: «ذلك يعود إليك. إذا رغبت في العيش هنا، فأنا أملك منزلاً على الشاطىء وسوف يصبح لك ما دمت تريدين ذلك. كما أنني أملك منازل في لندن وفي نيويورك».

وفكرت لورين: وواحداً في فالانو!

التمعت عيناه بومضات ذهبية وكهرمانية كأنها نار متأججة، ثم قال:

«إذا ما كشف النقاب عن قصة ولادتك، فإن زواجك بي سيمنحك المركز الذي يخولك محاربة أي شخص يتجرأ على تشويه سمعة والديك. فأنا أملك سلطة قوية وسوف أستعملها لمصلحتك».

حاولت لورين أن تفكر بالكلمات التي ستقولها، لكن لسانها لم يطاوعها وكذلك حلقها، وذلك بسبب الغصة التي تشعر بها. وأخيراً تمكنت من القول بهدوء: «حسناً».

ضحك غاي ضحكة خافتة ثم عانقها برقة، فبادلته عناقه مع أن قلبها كان يدمي من الألم. وعندما تركها شعرت بالارتجاف إلا أنها أبقت رأسها مرفوعاً. قال لها بنبرة ساخرة: «لمَ كل هذا الحزن لورين؟ أقترح أن نعود الآن إلى الڤيلا، وسنترك القرارات الأخرى إلى وقت نكون فيه أكثر ارتياحاً».

إنه عاشق ممتاز، ورجل ذو شخصية جذابة، وقد أحبه والداها كثيراً. وتعلم لورين أنه شخص مميز ورجل أعمال قدير، لكنها حتى البارحة لم تكن تعلم أنه أمير.

عندما عادا إلى الڤيلا، رفض غاي دعوة أمها لتناول الغداء، لكنه سأل إن كان بإمكان زوجة ابن عمه، الأميرة ألكسا، أن تقوم بزيارة قصيرة إلى منزلهم بعد ظهر يوم غد. فقالت إيزابيل بورتر: «هذا لطف منها. نحن نرغب بلقائها لنشكرها على تقديمها هذا المنزل لنا».

التمعت عيناه بالتسلية فبدتا كحجري التوباز وقال محذراً: «من المحتمل أن ترغب بالتقاط صور لكم، فهي ماهرة جداً بذلك».

قالت إيزابيل بحماسة: «لقد شاهدت معرضاً لها في لندن، إنه رائع حقاً».

أومأ غاي موافقاً، ثم منحها ابتسامة ساحرة جعلتها ترمش بعينيها مجفلة لشدة التأثر. ولم تلمها لورين على ذلك.

- سوف تحبينها بالتأكيد. إنها مسلية وذكية ولديها قلب رؤوف ورقيق،

كما أنها ترغب كثيراً برؤيتك.

ثم نظر إلى لورين من فوق كتف أمها، فبدت هادئة متماسكة. وكانت أشعة الشمس ترسل دفئها عبر النافذة على بشرتها البيضاء. ابتسمت له برقة. ومع أنه شعر بتوترها الذي تخفيه تحت ذلك المظهر الذي ينبيء بالثقة، إلا أن هناك أيضاً تياراً خفياً غامضاً يتحرك بينهما حين تلتقي عيناه بعينيه. فكلاهما يعلم أن لمسته تجعل خديها يتوردان، وأن عناقه يجعلها تذوب شوقاً بين يديه. لذا من الأفضل أن يرحل الآن، لأنه يشعر برغبة قوية في معانقتها. لكن عليه قبل ذلك أن يعلن قرارهما بشأن الزواج الذي أجبرها على الموافقة عليه.

فقال بنبرة ملؤها الغموض: «سيد بورتر، سيدة بورتر؛ أنا ولورين لدينا ما نخبركما به. قررنا إجراء مراسيم رسمية لزواجنا هنا في الكاتدرائية. وهكذا يصبح زواجنا قانونياً ومعلناً. أتمنى أن تباركا هذا الزواج».

عندئذٍ قال هيوغ بورتر: «يبدو هذا قراراً منطقياً».

وقف غاي قائلاً: «زيارة ألكس ستكون بمثابة أول إعلان عن ارتباطنا في المجتمع».

ثم تابع: «أمامنا شهر مليء بالأعمال، لكنني أرجو ألاّ يكون مرهقاً».

قاطعه هيوغ: «أستطيع تحمّل ذلك».

رمقه غاي بنظرة حادة ثم هز رأسه موافقاً وقال بنبرة تتسم بالتهذيب: «علي أن أسافر إلى أميركا بعد ظهر هذا اليوم. سأراكم ثانية بعد ثلاثة أيام. وحتى عودتي، أتمنى أن تتمتعوا بأوقاتكم في داسيا في فصل الربيع».

١٠ - عينان وحديقة زمرّد

كانت زيارة الأميرة جيدة، مليئة بالمرح والحيوية. تحدثت مع إيزابيل عن التصوير، ومع والد لورين عن الأدب الإيطالي ثم تبادلت مع لورين بعض الأحاديث عن الحياة في نيوزيلندا. لكن لورين أدركت أن خلف هذا المظهر الساحر للأميرة، هناك عين حكيمة تراقبها وتحكم عليها. ثم اقترحت الأميرة أن يأتوا لتناول الغداء في القصر الصغير بعد عدة أيام.

في تلك الليلة، جلست لورين مع أمها بمفردهما. قالت إيزابيل بنبرة حاولت جهدها أن تبدو عادية: «لورين، هل أنت متأكدة من أنك تريدين الزواج بغاي؟».

قالت لورين: «متأكدة تماماً».

التقت عيناها بعيني أمها المتفحصتين وأضافت وهي تبتسم ابتسامة ملتوية: «أودّ ذلك من كل قلبي، لكن ليس بهذه الطريقة».

التمعت عينا إيزابيل بالاهتمام وقالت بهدوء: «هذا ما ظننته. وما هو شعور غاي؟».

- يشعر أن من واجبه القيام بذلك.

ثم أخبرتها بصوت هادىء بما دار من نقاش بينها وبين غاي.

- وهل يشعرك ذلك بالألم؟

عضت لورين على شفتها وقالت: «نعم».

نهضت إيزابيل من مكانها واقتربت من ابنتها ثم عانقتها عناقاً سريعاً قبل

أن تقول: «آه، عزيزتي، يجب ألاّ تشعري أن عليك الزواج بغاي بسبب تلك الأيام التي قضيتماها معاً».

أخذت لورين نفساً عميقاً، ثم قالت تعترف لنفسها ولأمها معاً: «أعرف ذلك أمي، لكنني حقاً أحبه».

وعلت ابتسامة صغيرة شفتيها المرتجفتين. فتلك هي المرة الأولى التي تعترف بالأمر علناً.

– هذه هي الحقيقة، صدقيني. خلف ذلك المظهر الرائع الهادىء، غاي هو رجل لطيف وشريف وشجاع.

قطبت إيزابيل جبينها وقالت بنبرة جافة: «أعرف أن شخصيته تتميز بالشجاعة والأمانة والشرف. ومع أنها صفات رائعة، إلا أن الزوج يحتاج إلى صفات أكثر من هذه».

– علينا أيضاً أن نأخذ ذكاءه بعين الاعتبار.

وحاولت جاهدة إيجاد الكلمات المناسبة، فتابعت تقول: «كما أنه يجعل عظامي تذوب شوقاً إليه والدم يغلي في عروقي. وأنا أود أن أمضي بقية حياتي معه».

نهضت أمها ومرّرت يدها على تنورتها بنعومة ثم قالت: «في هذه الحالة، ليس هناك المزيد لأقوله».

وتوقفت قليلاً عن الكلام إلى أن أومأت لورين برأسها ثم تابعت تقول: «هل أخبرت مارك عن هذا الزواج؟».

قالت لورين وهي تبتسم: «نعم، وهو مثلك غير مقتنع بأنني أعرف حقاً ما الذي أفعله. لكنني تمكنت أنا وبيج من إقناعه بالقدوم إلى هنا، ليرى بنفسه كيف تجري الأمور».

تلك الليلة، في غرفتها الجميلة التي تبعث الارتياح في النفس، حاولت لورين أن تتخلص من التوتر الذي سيطر عليها. أخذت حماماً، لكن ذلك لم

يشعرها بالارتياح. كذلك لم يخفف عنها فنجان الشاي الذي أضيفت إليه الأعشاب، والذي قدمته لها إحدى الخادمات قائلة: «هذا يدفىء قلبك الحزين».

لكن لورين، وبعد أن أنهت شرابها، ظلت تشعر بالقلق. وفي النهاية، وقفت قرب النافذة وراحت تحدّق بالحدائق والتلال المليئة بأشجار الزيتون. على بعد ميل أو أكثر، بدا القصر الصغير، والذي سمّي كذلك لأن القصر الكبير قد حوّل جزء منه إلى متحف والجزء الآخر إلى مركز للإدارة والاحتفالات. من ذلك القصر القديم تمّ إعلان نبأ زواجهما في اليوم السابق. وقد نشرت الصحف ووسائل الإعلام النبأ مع الكثير من التخمينات.

شوقها المؤلم لغاي أدخل الكآبة إلى أعماق قلبها فتنهدت بأسى. وأخيراً، سيطر الإرهاق عليها فأغمضت عينيها وغلبها النوم. لكن نومها لم يكن مريحاً، بل مليئاً بالأحلام المرهقة، وكلّها تدور حول غاي. فاستيقظت في اليوم التالي بعينين مرهقتين تعكسان عذاب روحها. فكرت أن القيام ببعض الحركة سيخفف من عذابها ويساعدها على توضيح أفكارها.

بعد مرور عدة دقائق، خرجت من المنزل الصامت بهدوء، وقد ارتدت السارونغ فوق ثوب السباحة. في منتصف الطريق إلى الحديقة، رأت بركة سباحة مظللة باشجار الصنوبر، بركة واسعة وجميلة.

كانت المياه لا تزال باردة، لكنها سبحت بمهارة، وراحت تعد الدورات إلى أن أنهكها التعب. حسناً، يبدو أن الحركة لم تنجح في التخفيف من حزنها. جففت جسمها في حجرة خاصة بالقرب من البركة وهي تفكر بأن عليها أن تتعامل ببرودة مع غاي، علّها بذلك تتمكن من إخراجه من فكرها وقلبها.

التقطت قبعتها ومنشفتها وسارت تحت أشعة الشمس، والفراغ البارد المؤلم في قلبها يناقض حرارة الشمس التي بدأت تلذع كتفيها العاريتين.

سارت باتجاه مكان فسيح في الحديقة، ثم وقفت تنظر بإعجاب إلى الحركات البلهوانية التي يقوم بها طائران صغيران يعلو رأس كل منهما عرف ذهبي اللون. راحت تبتسم وهي تراقبهما لعدة لحظات قبل أن تشعر أن هناك من يراقبها.

استدارت متوترة، وهناك رأت غاي يسير بخطوات واسعة تحت الأشجار. فأحست بالبهجة تتراقص في داخلها باعثة النشاط والتوهج في أنحاء جسمها.

لم يعانقها، وبدلاً من ذلك، راح يتأملها بتمهل واضح مرسلاً رعشات من التوتر في كيانها. وأخيراً قال: «يبدو أنك لا تستطيعين التخلص من الظلال الظاهرة تحت عينيك».

- بينما تبدو أنت بحالة جيدة.

أصبحت نظرات عينيه العسليتين أكثر رقة وهو يقول: «هل ترغبين بأن نلغي كل شيء؟».

للحظة، لم تصدّق ما سمعته أذناها، وحدّقت به مستغربة، وإذا بفمه يلتوي بابتسامة مرحة أضاءت وجهه: «إذا كان ما نقوم به سيؤثر على صحتك سنعمل على إلغائه الآن».

حاولت جاهدة كي تبدو نبرة صوتها لا مبالية وقالت: «وماذا عن حساسية سكان داسيا التي تحدثت عنها بوضوح منذ عدة أيام؟».

رفع كتفيه بلا مبالاة، إلا أن عينيه أصبحتا قاسيتين وهو يقول: «بالطبع سيشعرون بالألم بسبب ذلك».

تفوهت ببضع كلمات باللغة الفرنسية، فضحك برقة وأمسك بها ثم ضمها بين ذراعيه قائلاً باللغة نفسها: «لكنتك الفرنسية ممتازة».

فتمتمت: «وأنت كذلك».

ثم اختفت الكلمات من رأسها فأغمضت عينيها خجلاً. غمرها الدفء

المنبعث من جسده القوي وشعرت بنفسها ضعيفة بين يديه فهمست: «أرجوك، لا».

شدها إلى صدره بقوة فلم تعترض. ثم قال بصوت أجش: «أنا لا ألومك لأنك لا تريدين رؤيتي مرة أخرى. فبسببي انقلبت حياتك رأساً على عقب».

أمسك بذقنها ورفعها كي يتمكن من رؤية وجهها وتابع يقول: «لكنني لست سادياً، وأنا أكره رؤية الظلال تحت عينيك».

ابتلعت لورين ريقها وقالت: «أنا لا أتراجع عن وعودي. وإذا ألغينا زواجنا الآن سيبدأ سيل من الإشاعات والتوقعات. سوف يغضب والدي كثيراً مما ستواجهه أمي من مهانة. وأنا لست مستعدة لتحميله هذا العبء».

أفلتها غاي وقال ببرودة: «إذا كان هذا قرارك، توقفي إذن عن الحزن، وإلا فسوف يعتقد الناس أنني أضربك».

قالت من بين أسنانها: «هل أخبرك أحدهم أنك شخص بغيض ومتكبر؟».

ابتسم لها ابتسامة عريضة ساخرة وقال: «أهلاً بك في النادي».

دعته أمها لتناول الفطور معهم، وبالتأكيد قبل غاي الدعوة. حاولت لورين أن تتجاهل مشاعرها نحوه وشربت كمية مضاعفة من القهوة كي تتمكن من تناول الطعام بصورة هادئة إلى أن قال غاي: «أود أن آخذك لمقابلة ابن عمي».

تصلّب جسد لورين وهو يتابع قائلاً: «إنه أمير داسيا وهو رأس العائلة، لذا تقضي اللياقة أن نزوره الآن».

أدرك والدها دقة الموقف فقال: «فكرة ممتازة. بما أن علاقتكما ستصبح رسمية عما قريب، فلا ضير من القيام ببعض اللياقة الاجتماعية».

قالت لورين وهما في طريقهما إلى القصر الصغير: «من الآن فصاعداً،

أتمنى أن تبحث الأمور معي، لا أن تعرضها أمام والدي. فهما، كما تعلم، يعتقدان أنك «رائع».

ولم تجرؤ على التمادي بالكلام أكثر من ذلك خشية أن يخونها صوتها.

انعطف غاي بسيارته عبر بوابة كبيرة، وأومأ برأسه محيّياً الحراس الذين رفعوا أيديهم بالتحية له بفرح. تجمّدت لورين وهي تدرك للمرة الأولى أن نمط حياته غريب وبعيد كل البعد عن نمط حياتها. وسألته: «هل سأصبح أميرة؟».

وتمنت لو أنها عضت لسانها لتمنعه من التلفظ بهذا السؤال الطفولي الساذج. لكن غاي ردّ بهدوء: «أخشى أنك ستصبحين كذلك. هل تحبين الزمرد؟».

أذهلها هذا التغيير الواضح للموضوع، فأجابت: «بالطبع أحبه، إنه جميل».

- جرت العادة أن تقوم كل عروس من أسرة باغاتون باختيار زمردة من خزنة القصر لخاتم زفافها، لكن إذا كنت تفضلين نوعاً آخر من الجواهر، فيمكنك أن تختاري ما تشائين.

وعندما لم تجب تابع يقول: «اللون القرمزي يناسبك كثيراً، لذا إذا كنت تفضلين الياقوت فهذا ما ستحصلين عليه».

- أنا أريد..

قاطعها بصوت حاد كالفولاذ كأنه يحذرها أن لا مجال للجدل في هذا الموضوع.

- خاتم الخطوبة هو تقليد متبع في أسرتنا.

- لا بأس بالزمرد.

لكن الألم والغضب اللذين شعرت بهما دفعاها لتتابع قائلة: «بالطبع، سأعيده لك ما إن ينتهي زواجنا».

تصلبت معالم وجهه، لكن قبل أن يجيبها سارعت إلى القول: «أنا آسفة. في الواقع أنا أشعر بالتوتر. ماذا لو لم يحبني ابن عمك؟».

رمقها بنظرة جانبية وقال بهدوء: «سوف يحبك».

ثم وضع يده النحيلة فوق يدها ممسكاً بها للحظة قبل أن يعيدها إلى المقود.

- أتساءل ما الذي سأفعله بعد.. أن تستقر الأمور، فأنا معتادة على العمل.

- هناك الكثير من الأعمال التي يمكنك القيام بها، والمراكز الخيرية بحاجة دائماً إلى من يرعاها.

قالت بعدم ارتياح: «أنا لا أريد أن أشارك لمجرد وضع اسمي في تلك الأماكن. احتاج إلى القيام بشيء ما وإلاّ سأصاب بالجنون».

- لورين، خففي عنك!

تصلب فكّها ونظرت إلى يديها وهي تتخيل إحدى زمردات أسرة باغاتون المذهلة تتوسط خاتماً في إصبعها. سألته فجأة: «هل أخبرت ابن عمك عن السبب الحقيقي لزواجنا؟».

تصلّب فكه بصورة أخافتها وقال بضيق واضح: «كلا. أنا ولوكا صديقان مقرّبان، لكن علاقتي بك وزواجنا لا صلة لهما بذلك».

أوقف سيارته على جانب الطريق وتابع يقول: «إذا خطر لأحدهم أن يسأل عن الأمر.. تلاقينا في سانت روزا، ووقعنا على الفور في غرام بعضنا البعض. ثم آثرنا الحفاظ على ذلك الحب بالزواج وقضاء عدة أيام في فالانو معاً».

شحب لون بشرتها ثم عادت تتلون من جديد وكأن كلامه أصابها بالإحراج. قالت وهي تحاول أن تخفي الحزن في صوتها بالسخرية: «يبدو ذلك رومنسياً جداً».

انحنى ليفتح لها الباب قائلاً: «اخرجي».

حدّقت إليه بعينين واسعتين: «ماذا؟».

قال بنبرة فرحة: «اخرجي، فأنت تبدين متوترة جداً. ستتمشى قليلاً فقد يخفف ذلك من شعورك بالتوتر».

بدت لها الفكرة جيدة. فخرجت وتظاهرت بأنها تنظر بفرح إلى الأزهار المنتشرة حولها والتي تطل من بين الأعشاب.

وقف غاي خلفها ثم اقترب منها وقال محدّثاً: «ومن أجل التأكد من أننا سنظهر بمظهر مقنع أمام لوكا، علينا القيام بذلك».

وضع يديه على كتفها وأدارها نحوه. ووجدت لورين نفسها تحدّق في وجه لم تتبين معالمه لشدة الغموض الذي يعلوه، مقنّع بتصميم قوي وإرادة لا تعرف التراجع. وفجأة انحنى غاي برفق، فبدأت تقول: «لا أعتقد..».

كلماتها ضاعت عندما عانقها، وعندما رفع غاي رأسه شعرت بالحرمان والإحباط بالإضافة إلى النيران التي تتأجج في أحشائها.

نظر غاي إلى وجهها متفحصاً ثم قال وقد ظهرت لكنته الأصلية بوضوح: «نعم.. هكذا أفضل».

أغمضت لورين عينيها وقالت: «أكره الكذب».

أطلق غاي ضحكة متوترة ثم قال بصوت يحمل نبرة كئيبة: «أنت تريدينني.. وهذا ليس كذباً. لكن المرء يشعر بالخوف عندما يفقد السيطرة على مشاعره. ثم، هناك ذلك الانجذاب الغريب بيننا».

- قرأت مرة أن الأمر يتعلق بتفاعل كيميائي يتم في الدماغ.

لكن، إذا كان الأمر كذلك، فلِمَ يؤلمها قلبها وليس دماغها؟

التمعت عيناه نصف المغمضتين بشعاع ذهبي اللون، غامض، مسيطر.. ثم قال: «لقد شعرت بهذا الإحساس منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها».

سرت ارتعاشة من الإثارة على امتداد عمودها الفقري، لكن لورين لم تكن مستعدة للاعتراف بالأمر فقالت: «اعتقدت يومها أنك أحد متسكعي الشواطىء».

ارتفع حاجباه الداكنان استنكاراً، ثم نظر إلى ساعته قائلاً: «من الأفضل أن نرحل».

وما إن أصبحا في السيارة، وبينما كانت لورين تنظر إلى صورتها في المرآة الصغيرة، قال معلّقاً: «متسكع الشواطىء!».

أصابتها الدهشة وهي ترى في المرآة اللمعان الشديد في عينيها والحيوية المفاجئة التي علت وجهها. أمسكت أحمر الشفاه وضعت لمسة منه على شفتيها ثم أعادته إلى الحقيبة بتوتر وقالت: «لقد بدوت متفاخراً، فظاً ومتكبراً».

- أنت أيضاً بدوت كذلك.

استدارت لتحدق في وجهه، فظهر بوضوح أنه يخفي ابتسامة. لكنها قالت بكبرياء: «كل ما في الأمر أنني كنت مصمّمة على الوصول إلى تلك القرية».

- نظرت إليَّ نظرة واحدة لكن عينيك أصبحتا قاتمتين، فأدركت أنني أستطيع التأثير عليك.

نبرة الرضى الواضحة في صوته أعادت إلى ذهنها ذكرى ذلك المتجع الصغير، والتهديد بالموت الذي كان معلّقاً فوق رأسيهما، وذلك الرجل الذي واجهها بصلابة لا تلين. فقالت: «كما قلت لك، بدوت متغطرساً ومغروراً. وتساءلت إذا كنت هناك كي تحظى برفقة امرأة ما».

- أتعنين صائد نساء؟ وما الذي جعلك تغيرين رأيك؟

وعندما رفضت الإجابة ضحك بنعومة وتابع يقول: «يمكننا أن نتناقش في ما بعد من منا كان أكثر عجرفة.. أما الآن فعلينا ترك هذا الموضوع لأننا وصلنا إلى القصر الصغير».

كان القصر عبارة عن مبنى كبير رائع بُني من حجارة عسلية اللون ما أعطاه مهابة وفخامة. ابتلعت لورين غصة متصلبة في حنجرتها ونظرت إلى السلالم الواسعة التي تؤدي إلى شرفة محاطة بالأعمدة، وقالت بضعف: «لا أعرف ماذا سأقول لابن عمك».

رمقها بنظرة سريعة وقال: «استمتعت بالتحدث إلى ألكسا، أليس كذلك؟».

ابتلعت غصة ثانية وأجابت: «نعم».

- إذن، فسوف تحبين لوكا أيضاً. وسيكون ذلك الشعور متبادلاً. ففي النهاية، لوكا تزوج من امرأة حساسة وذات شجاعة نادرة. وقد وقع في حبها مع أنه فكر أنها تنتمي إلى فئة يكرهها كثيراً. الصحفيين الذين يلاحقون المشاهير. لكن حباً كبيراً جمعه بها.

أتراه يتمنى لو أن ذلك يحصل معه؟ كلماته لم تعبر عن أي شيء، ولا حتى وجهه الوسيم القاسي. أما لورين فقد جعلتها كبرياؤها العنيدة تحافظ على مظهرها الهادىء فيما هما يسيران إلى الشقة الخاصة بالعائلة المالكة. ولم تشعر بالارتياح إلا عندما ركض صبي صغير رائع عبر الباب.

الأميرة وابنها الصغير والدوق الكبير جعلوا من المستحيل تصنيف الزيارة على أنها زيارة رسمية. لكن ابن عم غاي، المرح والبالغ الوسامة، كان يراقبها باهتمام بارد دون أن يفوته شيء. وفكرت لورين بقلق أنه يحاول تقييمها بتحفظ. وبدا أنه اتخذ قراره عندما قال قبل أن يغادرا: «إذا وافق والداك، سنقيم الاحتفال في الكاتدرائية وليس في كنيسة القصر. وبذلك سيقام استعراض للعربات في الشارع. سكان داسيا يحبون الاحتفالات. وبعد هذا الزفاف سيمر وقت طويل قبل أن يقام زفاف ملكي، وذلك إلى أن يكبر الجيل الجديد».

لا بد أن ملامحها أظهرت أكثر مما تظن لأن ألكسا ضحكت ثم قالت: «المناسبة الرسمية في داسيا ليست كأي مناسبة رسمية في مكان آخر. لورين،

ستكونين بخير. يمكنني مساعدتك في اتخاذ كل التدابير».

ابتسمت لورين ابتسامة آلمت خديها وقالت: «أعترف أنني كنت أفضل احتفالاً خاصاً وعادياً، لكن إذا كنتم ترون أن هذه فكرة جيدة سنفعل ذلك».

في طريقهما إلى الڤيلا قال غاي: «لم يكن الأمر سيئاً، أليس كذلك؟».

تنهدت بصمت وقالت: «كلا، شكراً لك».

رفع حاجبه ساخراً: «علامَ».

- على مساندتك.

لقد شعرت بذلك طيلة الوقت، مساندة ثابتة وقوية. قال لها بثقة كادت تحسده عليها: «لم تكوني بحاجة إلى أي مساعدة، كنت رائعة. وإذا كنت تتساءلين.. نعم، لوكا أحبك».

الأمر الذي لاحظته لورين خلال تلك الزيارة إلى الأسرة المالكة هو الحب القوي الذي يجمع بين الأمير وزوجته. ومع أنهما لم يظهرا ذلك بطرق واضحة إلا أنه بدا كسلسلة من الذهب تربط بينهما بقوة وبراعة.

عندما وصلا إلى الڤيلا، أخبر غاي والديه عن خطة لوكا بالنسبة للزفاف. عقدت إيزابيل حاجبيها الأنيقين وقالت: «هيوغ، ما رأيك بذلك؟».

أجابها بحزم: «لا رغبة لي بالموت، وأؤكد لك أنني لن أموت قبل أن أحمل أحفادي فوق ذراعي».

أدارت لورين رأسها وحدقت إلى الخارج من النافذة، لتخفي عينيها اللتين امتلأتا بالدموع. أما غاي، فبدا كأنه لم يتأثر مطلقاً بالحديث عن الأطفال وقال برقة: «ما دام الأمر كذلك، يسعدنا أن تبقى هنا حتى ذلك الوقت، إلا إذا كان لديك سبب هام يدعوك للعودة إلى بريطانيا».

قالت إيزابيل مفكّرة: «ماذا بشأن ثياب الزفاف؟».

- مصممة الأزياء المحلية ممتازة، وقد تلقت تدريبها في باريس، ألكسا تشتري ثيابها منها، وهذا يساعد في تشجيع الاقتصاد المحلي. فهناك عدد كبير من السياح الذين يرغبون بشراء ملابس من المتجر الذي تشتري منه الأميرة ملابسها.

- آه، نعم. بالطبع.

بدت الدهشة فجأة على وجه إيزابيل، وكأنها أدركت فجأة أن حياة ابنتها تغيّرت بصورة نهائية.

- لقد طلبت مني ألكسا أن أخبركم أنها ستكون سعيدة في المساعدة بأي شيء ترغبون به.

لطف غاي وتهذيبه جعلا لورين تزداد توتراً. بدا مقنعاً تماماً بدوره كخطيب وحبيب. غادر الثيلا بعد وقت قصير، لكن ليس قبل أن يتفق مع لورين على موعد وذلك بعد ساعة فقط. وأمام نظراتها المذهولة قال: «نحتاج إلى خاتم. اتفقت مع الصائغ أن يعرض عليك مجموعة من الأحجار الكريمة التي قد تعجبك. لكن، بما أن تلك المجوهرات موجودة في خزائن القصر القديم، فعلينا أن نذهب إلى هناك».

كان قد وصلا إلى خارج المنزل، فقالت وهي تشعر بالخدر: «فهمت».

منحها ابتسامة سريعة ساخرة: «خففي عنك حبيبتي.. لن يكون الأمر سيئاً كما يبدو الآن».

- هل هذا وعد؟

بدا متصلباً وبعيد المنال وهو يقول: «كفى لورين، أنا آسف إذا كانت الفكرة تثير مخاوفك، لكن هذا ما سيحدث. والآن حاولي أن تفكري بطراز الخاتم الذي ترغبين في وضعه في إصبعك».

قالت غير قادرة على التعبير عن مدى قلقها: «لا فكرة لدي، كما أخشى».

قال بنبرة صادقة: «أعلم أن ليس هذا ما كنت تتوقعينه أو تريدينه كذلك الأمر بالنسبة إلي. لكن طالما أننا معاً تسببنا بذلك، فمن العدل أن نتحمل نتائجه معاً».

لن تدعه يرى كم يسبب لها كلامه من الألم. وضعت ابتسامة على شفتيها المتيبستين وقالت بمرح: «أنت على حق تماماً. غاي، فكرت أنني أستطيع الاستفادة من الوقت الذي سنمضيه ونحن متزوجان في التحضير لشهادة الماجستير، فهذا ما كنت أخطط للقيام به في مطلق الأحوال».

أومأ موافقاً وهما يسيران على مهل ليجتازا تقاطعاً قبل أن يصلا إلى الشارع الرئيسي. وقال بهدوء: «هذه فكرة ممتازة. سيكون علينا القيام ببعض الاستقبالات، لكن سيتبقى الكثير من الوقت للعمل».

قادتهما الطريق إلى وسط مرفأ الجزيرة والقلب النابض فيها. وهو عبارة عن بلدة صغيرة تعج بالناس وتجمع بين متطلبات السياح وحاجات السكان الأصليين.

- خزائن الكنز موجودة في القصر القديم.

وما إن أصبحا هناك حتى أدخلها إلى غرفة صغيرة ذات جدران سميكة في حصن قديم. قام أحدهم بعرض الأحجار الكريمة عليها، وهي عبارة عن مجموعة من أحجار الزمرد وضعت على قطعة من المخمل الأبيض. عرّفها غاي بالرجل على أنه الصائغ. نظر الصائغ إلى يديها نظرة خبير وقال باستحسان: «جميلة. أقترح طرازاً كلاسيكياً، دون المبالغة بالزخرفة».

ألقت لورين نظرة سريعة على الحجارة التي تلتمع بقوة فاستوقفتها إحداها. وللتو التقط غاي الزمردة ووضعها على يدها قائلاً: «أتريدين هذه؟».

شعرت ببرودة الحجر على بشرتها متناقضة مع دفء أصابعه، وأحست بانقباض في قلبها.

- نعم، هذه.

ابتسم الصائغ بابتهاج قائلاً: «اختيار موفق. إنه حجر رائع وخال من الشوائب. هل تعلمين أن معظم أحجار الزمرد لا تخلو من الشوائب؟ نحن نسميها حديقة لأنك عندما تنظرين إليها تبدو كزهرة متفتحة».

وضع مجموعة من التصاميم على الطاولة وأخذ يتصفحها، ثم قال: «أقترح هذا الطراز وهو من معدن البلاتين وليس الذهب، فهو يناسب لون بشرتك. مع ثلاث حبات من الماس من كل جانب لتظهر لون الزمرد بقوة. سيناسب ذلك يدك كثيراً».

نظرت لورين إلى التصميم ثم إلى الحجر. أما غاي فلم يقل شيئاً إلا أنه كان يراقبها بعينين عسليتين شبه مغمضتين. وعندما نظرت إليه شعرت بالحرج وعلا الاحمرار وجهها فأعادت نظرها إلى الحجر الذي اختارته.

فكرت أن إخفاء عواطفها من أجل حماية نفسها هو طريقة جبانة، وهي لم تكن يوماً جبانة. لقد كافحت بقوة عندما كانت مريضة، ولم تفوت فرصة لإثبات كفاءتها في العمل لتحقق النجاح. وإن لم تحارب من أجل هذا الرجل، فلن تتمكن من النظر إلى صورة وجهها ثانية. سألها غاي: «هل ما زلت واثقة أن هذا ما تريدينه؟ هذا الحجر أيضاً خال من الشوائب إن كنت تفضلينه».

هزّت رأسها قائلة: «كلا. فالأول لونه جميل جداً، كما أنني أحب فكرة أن أحمل حديقتي الخاصة في يدي».

التقت نظراتها بنظرات عينيه المتسائلة، ورفعت رأسها بتحدٍ. ثم شعرت بالارتياح عندما استدار ليتحدث إلى الصائغ.

- في هذه الحالة، سنأخذ هذا، شكراً لك.

١١ - أنت عذابي!

اختيار الخاتم وإعلان الصحافة عن موعد الزفاف أدخلاها في شهر من النشاط الدائم بل المسعور.

قبل يوم واحد من موعد الزفاف، جلست لورين على كرسي في قاعة الاستقبال الصغيرة في الڤيلا، وخلعت حذاءها بسبب الألم الذي تشعر به في قدميها. ثم قالت لأمها: «أعتقد أنني حتى الآن قابلت كل سكان الجزيرة، حفلة الحديقة جمعت أكثر من خمسمئة شخص، وكلهم أرادوا أن يخبروني كم يحبون غاي وكم أنا محظوظة به، خاصة النساء منهم».

أومأت أمها موافقة: «إنه محبوب جداً وحتى من قبل الرجال أيضاً. وهذا أمر مهم جداً أليس كذلك؟ فوالدك يحبه كثيراً».

عندما دخل غاي برفقة والدها، اتكأت لورين على المقعد وراحت تراقبه بعينين فولاذيتين ثم قالت: «أذكر قولك لي مرة إنك تشعر بارتباط عاطفي كبير بالجزيرة لكن ليس لديك هنا أعمال كثيرة. ويبدو واضحاً أن سكان داسيا يكنون لك الكثير من مشاعر المودة، بل على الاصح مشاعر الحب».

ابتسم غاي ابتسامة عريضة: «قلت لك إنهم يحبون حفلات الزفاف».

- ليس الأمر كذلك.

شعرت بالامتنان لقدرتها على الظهور بمظهر متماسك خلال الأسابيع الماضية، وتابعت: «إنهم يحبونك، قال لي أحدهم اليوم إنك قدمت لحكومة سانت روزا شبكة للاتصالات الهاتفية».

هز كتفيه وقال بهدوء: «إنه إعلان جيد».

ارتفع حاجباها وقالت: «في سانت روزا؟ كما قال إنك قدمت لهم أيضاً طائرة للاسعافات الطبية خففت كثيراً من عدد الوفيات هناك».

- وهو إعلان أفضل.

نبرته المملّة أسكتتها، فرفعت كوبها وأخذت تشرب العصير بينما انشغل غاي بالتحدث مع والديها. خلال الشهر الماضي تعلمت من الآخرين الكثير عن الرجل الذي تحبه. أما غاي نفسه فتحول إلى شخص آخر غريب متكلف يتمتع بالمركز والسلطة. وبينما كانا يمضيان في تحضيراتهما كانت تشعر أن وراء ذلك الاهتمام والعناية نوع من الانسحاب إلى الداخل آلمها كحبها المستحيل تماماً.

بعد أربع وعشرين ساعة سيصبح زوجها. لكنها لا تعلم بعد إن كان ينوي أن يجعل هذا الزواج زواجاً حقيقياً أم اسمياً فقط. مشاعر الذعر التي تجمعت لديها خلال الأسابيع الماضية وقفت كالغصة في حلقها. شربت المزيد من العصير لتخفف من ذلك الإحساس، لكن ذلك لم يخفف من الحزن العميق الذي بات يغلف كل لحظات يومها.

وكأنه شعر بتوترها، قال غاي: «تعالي لتتمشى قليلاً في الحديقة».

خرجت معه إلى الشرفة ثم إلى الحديقة التي تظللها الاشجار وقد فاجأها طلبه. لم تقل شيئاً لكن قلبها وفكرها وجسدها راحت ترقص فرحاً. وسألها: «هل كل شيء على ما يرام؟».

- نعم، بالطبع.

توقف تحت ظلال شجرة كثيفة وأنعم النظر في وجهها. التوى فمه بابتسامة قاسية وقال بنبرة واثقة: «متكبرة. أحب عينيك عندما تنظران إلي وهما تلمعان كحبتي ماسٍ ناريتين.. أمك قلقة عليك».

إنها تدرك قلق أمها تماماً فقالت: «أصبحت تلك عادة عندها منذ أصبت

بالمرض. أنا متعبة فقط لأنني لست معتادة على القيام بدور الأميرة».

- تقومين بذلك ببراعة.

لكن كلامه لم يبدُ مقنعاً. فظلت واقفة تواجه نظرات عينيه العسليتين بتحد وقالت معترفة: «أراقب ألكسا وأفعل مثلها تماماً».

ظل يراقبها بعينين شبه مغمضتين فسألته بتهذيب: «بِمَ علينا أن نتحدث؟».

مدّ يده إلى جيبه وسحب عقداً كأنه نهر متدفق من الزمرد الناري وقال: «أريد أن أعطيك هذا».

ثم رفع يديه فوق رأسها ووضع العقد قائلاً: «أعلم أن معظم العرائس يفضلن اللؤلؤ، لكن ذلك لا ينطبق على العرائس الملكية في داسيا».

قال ذلك ثم لوى شفتيه بقسوة وهو يتراجع ليتفحص العقد في عنقها ثم أضاف: «يقال إن الزمرد يمنح من يرتديه القدرة على مواجهة المستقبل».

- أمر جيد.

فقط لو.. ورفعت يدها لتلمس الحجارة الباردة: «شكراً لك. لقد أحضرت لك شيئاً أيضاً. لكنه ليس..».

قاطعها ببرودة: «لا أريد المزيد من القيود».

قالت غاضبة: «هذا يعني أن من الأفضل ألاّ أشتري لك شيئاً».

سادت بينهما لحظات من التوتر، إلى أن قال غاي بصوت خشن: «أنا آسف، لم يكن ذلك ضرورياً. أعرف أن ما ستقدمينه لي سيكون غير عادي وجميلاً جداً.. مثلك».

مديحه هذا أثار اهتمامها فرفعت حاجبيها قائلة: «غير عادي!».

- ألا تعلمين ذلك؟

اتكأ على جذع الشجرة فأخفت ظلال الأغصان تعابير وجهه وهو يتابع: «من الخارج أنت مثال للذوق والثقافة المصقولة، وقد استحوذت على

قلوب سكان الجزيرة المتحفظين بلطفك وضحكتك واهتمامك بهم. وأنا أشك بأن يكون هذا المظهر الخارجي مجرد قناع فقط».

قالت غير واثقة: «لا أحد يظهر نفسه تماماً للغرباء».

بقي صامتاً للحظة ثم قال بهدوء: «بالطبع، أنت محقة».

أظهرت له ابتسامة ولمست حجارة الزمرد المتوهجة فوق صدرها وقالت: «شكراً لك على هذا، إنه رائع. سأضعه بفخر يوم الزفاف».

ثم اختفت ابتسامتها وأضافت بجدية: «وأعتقد أيضاً أن التقاليد تقضي بأن يتشاجر العروسان قبل يوم الزفاف».

ضحك بنعومة وابتعد عن الشجرة ثم اقترب منها. فاتسعت عيناها وهي تراه يحجب عنها رؤية كل ما عداه حتى إن صوت العصافير تضاءل في أذنيها وهي تسمعه يقول: «إذن، ربما علينا أن ننهي هذا الخلاف البسيط بطريقة تقليدية».

شعرت بالحماسة والإثارة فرفعت وجهها إليه كأنها تدعوه إليها، وفي لحظة ضمها إلى صدره، فأغمضت عينيها ثم عادت وفتحتهما لتجد أنه يتأملها بعينين عسليتين ضيقتين ترسلان نظرات حادة محرقة تخترق كيانها. ثم قال بصوت خافت: «لكن عناقنا لن يكون تقليدياً. فلا شيء تقليدي في شعوري نحوك. أنت تسيطرين على مشاعري وتعذبينني».

ارتجفت شفتا لورين.. لم يقل شيئاً عن الحب، لكن ما قاله كان كافياً. وضعت يديها خلف عنقه وقرّبته منها. فضمها إليه في عناق حار طويل يتأجج بالمشاعر المحرقة من جهة ويتسم بالحلاوة والعذوبة من جهة أخرى.

كان غاي من ابتعد أولاً، مطلقاً شتيمة خافتة من بين أنفاسه. ثم قال وهو يضحك شبه ضحكة تحمل مشاعر الرضى والخيبة معاً: «حبيبتي، أحدهم قادم إلى هنا. بل هناك عدة أشخاص.. وفي الحقيقة هم يتكلمون بصوت مرتفع لتحذيرنا».

عندئذٍ فقط، سمعت لورين تلك الأصوات فعادت إلى أرض الواقع وتأوهت مظهرة انزعاجها. أما غاي فالتمعت أعماق عينيه بنظرة ساخرة ورفع إصبعه ومرره بخفة على أرنبة أنفها قائلاً: «أوافقك على ذلك».

لم يكن الدخلاء سوى والديها وقد تبعهما مارك وزوجته بيج وطفلتيهما، وهما توأمان في الثالثة من عمريهما. وكانوا قد وصلوا إلى الجزيرة منذ عدة ساعات ومكثوا في منزل أعدّ لهم يملكه الأمير لوكا. تمّ التعارف بينهم وبين غاي، واستسلمت لورين لإلحاح الفتاتين فركعت على ركبتها لتضمهما إلى صدرها وتقول بصوت ملؤه العاطفة: «عزيزتاي.. كيف حال فتاتيّ المفضلتين؟».

راحت الفتاتان تتحدثان بفرح معها بلغة امتزجت فيها الفرنسية بالانكليزية، وكل منهما تحدثها في أذنها وتقبلها على خدها. بحب كبير، ضمتهما لورين إلى صدرها. وعندما رفعت نظرها رأت غاي يراقبها دون أن يظهر على وجهه أي تعبير.

تدبر مارك فرصة للتحدث إليها بمفرده فقال وقد قطب جبينه: «هل كل شيء على ما يرام؟».

تعمدت تجاهل ما يرمي إليه وردّت عليه بابتسامة مشوقة: «ليس أنت أيضاً! أمي تراقبني كالنسر وأتوقع أن يبدأ غاي بتفحّص نبضي كل ساعة.. بحق الله! لقد تعرّضت فقط لداء الرئة وتخطيت ذلك الآن».

أصبح تجهم وجهه أكثر عمقاً ثم قال: «أعرفك جيداً، تبدين ضعيفة».

أدركت لورين أن غاي يراقبهما فقالت بنبرة مشرقة: «ما من عروس تسير في الممر إلاّ ويبدو عليها الإرهاق.. إنه تقليد!».

لم يلح عليها مارك أكثر بل قال بصوت لم تسمعه منه سوى مرتين فقط من قبل: «إذا احتجتني يوماً فاتصلي بي أو ببيج على الفور».

- شكراً لك. لكنني لن أحتاج إليك.

وأملت ألاّ يبدو صوتها ممزقاً كعاطفتها.

في ما بعد، وخلال عشاء وصفته ألكسا بطريقة ملتوية بأنه «مجرد عشاء عائلي لثمانين شخصاً في القصر الصغير» راقبت لورين غاي وهو يفتن الجميع بسحره وفكرت بسخرية، ليس سحره فقط بل نجاحه، ثراؤه ووسامته.

اقترب منها غاي قائلاً: «ما أراه هو ملامح حزينة».

استدارت متجنبة أن تلتقي عيناها بعينيه اللامعتين. على الأقل، أنبأها عناقه أن خلف مظهره الهادىء هذا هناك رجل يرغب بها، وعليها أن تكتفي بذلك. قالت بنعومة: «حسناً، أعترف أنني متعبة قليلاً، فكل شيء مرّ كالحلم. لكنني أتطلع إلى الوقت الذي سينتهي فيه كل ذلك».

وعدها قائلاً: «هذا الوقت سيكون غداً. وعندها يمكنك أن ترتاحي».

قرر أن يمضيا الليلة الأولى في منزل غاي في داسيا، وقد رفض أن يصطحبها إلى هناك ليترك الأمر مفاجأة لها. بعدئذٍ سيسافران إلى إحدى جزر البحر الكاريبي وهي جزيرة يملكها صديق له. أمسك بيدها التي ارتجفت بين أصابعه، وبدا واضحاً أنها تحاول إخفاء ذلك الشوق إليه الذي يضطرم في داخلها. أما هو فقد أمضى شهراً بائساً وهو يمنع نفسه من الاقتراب منها، ولم يكن العناق الذي تبادلاه بعد ظهر هذا اليوم سوى عزاء صغيراً لمشاعره المحمومة تجاهها.

ما إن اتخذ قرار زواجهما حتى اندفعت تتعلم كيف تقوم بمهامها كما تفعل ألكسا، ولقد نجحت بذلك بامتياز. لكن الظلال تحت عينيها الصافيتين تجعله يشعر بالقلق. شيء ما دفعه إلى القول: «هل تثقين بي لورين؟».

أجفلت لسؤاله وتجنبت النظر إلى عينيه وقالت: «بالطبع.. ما كنت لأقبل بكل هذا الأمر لو لم أكن أثق بك».

كلماتها لم تشعره بالرضى، لكن بما أنه هو نفسه لا يعرف ما الذي يتوقعه منها لم يفاجئه قولها. هزّ برأسه موافقاً ما إن نظر إليه لوكا عبر الغرفة. فقال

لها: «حبيبتي، حان وقت الذهاب. نامي جيداً الليلة».

جوابها الوحيد جاء على شكل ابتسامة مقتضبة، وتساءل غاي ما الذي يدور داخل هذا الرأس الصغير وخلف تينك العينين الشفافتين الغامضتين. لطالما بدا من السهل عليه أن يفهم النساء الأخريات. أما لورين فتحتفظ بأفكارها ومشاعرها لنفسها. فقط عندما يضمها إليه يمكنه أن يعرف ما تشعر به. لكن حتى أثناء ذلك، يبقى فكرها غامضاً وبعيداً عنه.

www.elromancia.com

١٢ - حب بلا قيود

اليوم التالي مر على لورين في جو من الانبهار. علت آلاف التحيات والهتافات من سكان داسيا بينما كانت العربة المكشوفة تمر عبر الشوارع. أذهلتها الخدمة الرائعة الفريدة وانعكاس ضوء الشموع والموسيقى الصاخبة الجميلة، واللحظات المؤثرة عندما وضع غاي الخاتم في إصبعها ووضعت هي بدورها خاتماً في إصبعه وتم إعلانهما زوجاً وزوجة، وأصوات الأجراس الرنانة ما إن استدارا لمواجهة المهنئين.

خلال الرحلة القصيرة في العربة المكشوفة أثناء عودتهما إلى القصر القديم، نثرت عليهما أوراق الزهور، فطار بعضها في الهواء واستقر بعضها الآخر كرقائق الثلج على تنورة فستانها الرائع. ومع كل ذلك الضجيج من الحشود المتصاعد إلى أذنيها، راحت لورين تبتسم حتى شعرت بالألم في خديها، وابتسمت أكثر وهي تلوح بيدها كما علمتها ألكسا.

كانا قد أوشكا على الوصول إلى القصر القديم عندما استدارت نحو غاي وقالت: «فهمت الآن ما عنيته عندما قلت إن سكان داسيا يحبون الاحتفالات! يبدو ذلك واضحاً جداً».

ضحك غاي ونظر إلى وجهها بعينين مشعتين ثم قال بصوت عميق: «إنهم يحبونك أيضاً. هل تسمعين بما ينادونك؟ الأميرة الجميلة».

مبهورة الأنفاس، لمحت لورين بطرف عينها معدناً لامعاً. توقف الوقت بالنسبة إليها.. نصلاً فضياً مربوطاً إلى شيء أحمر اللون ظهر تحت أشعة الشمس، متجهاً مباشرة إلى صدر غاي.. علا صراخ الناس ما إن حاولت

أن ترمي بنفسها عليه، لكن غاي دفعها جانباً وأدار جسمه الكبير ليحميها، فاصطدم ذلك الشيء بكتفه قبل أن تتساقط بضع أوراق من الزهرة على الأرض.

أصبح وجهه قاتماً، ونظر بسرعة إلى ذلك الشيء، ثم استدار مردّداً اسمها بألم قبل أن يرفعها برفق شديد إلى الأعلى. وأمام صراخ الناس واضطراب الأحصنة ومحاولة الحوذي للسيطرة عليها، شهقت لورين قائلة: «هل أصبت؟ يا إلهي! هل أصابك مكروه؟».

- لا، أنا بخير. لم تكن تلك قنبلة.

وبسرعة، ضمها إليه وأصدر أمراً إلى أحد رجال الأمن الذين ظهروا فجأة ليلتقط ذلك الشيء. وتبيّن أنه قطعة من الورق لفت على وردة حمراء وغلفت بشريط فضي. وأمام صرخات الحشد قالت لورين: «أنا بخير. حتى أنها لم تلمسني، لكن ما هذا؟».

تبدّل صراخ الناس من الرعب إلى الرغبة بالانتقام. تركها غاي لتعود فتجلس على مقعدها. بدا عليه الغضب الشديد ما جعلها تنكمش في مقعدها. ثم أصدر أمراً آخر فاقتيد الرجل الذي رمى تلك الوردة والورقة إليه. وأخذ بعض الناس الغاضبين يضربونه وهو يُدفع نحو العربة. إنه شاب في حوالى الثامنة عشر من عمره، وقد بدا خائفاً.

شعرت لورين بتوتر كبير، وأخذت تصغي إلى النقاش الدائر بين غاي والشاب. وحبست أنفاسها عندما بدأ الحشد الذي كان غاضباً بالضحك. ومع أن غاي بدا متجهم الوجه عندما استدار نحوها، إلا أن الغضب تلاشى من عينيه وقال بنعومة وهو يمسك بيديها الباردتين: «كان ذلك مجرد التماس. والشاب يرغب بالاعتذار منك لأنه أخافك. انظري! لقد ربط وردة بالورقة كي تعلمي أنها ليست خطيرة».

الصدمة جعلت أسنانها تصطك، فضغطت عليها بشدة وقالت: «قل له إنه إذا حاول أن يرمي عليك شيئاً مرة ثانية فسوف.. لا، من الأفضل ألاّ

تقول له ذلك. ماذا.. يجب أن أقول؟».

اقترح غاي قائلاً: «إنك تسامحينه هذا المرة، لكنك تنصحينه باستخدام طريقة أفضل من هذه ليقدم التماسه».

هزت رأسها موافقة، فرفع يدها إلى فمه وقبلها، ثم استدار إلى الشاب ببرودة ونقل له تلك الكلمات.

من وراء حاجز رجال الأمن أخذ الناس يهتفون باسم لورين. فوقفت وإذا بها ترى الاهتمام والحب في وجوههم إلى جانب الصدمة التي ظهرت عليها، كما لمحت امرأة تبكي بصمت. كانت ما تزال ترتجف، لكنها تمكنت من الابتسام والتلويح لهم، فهتف الناس لها بفرح وأمطروها بالقبلات، ثم هتفوا ثانية عندما ابتعد الشاب وتابعت الأحصنة سيرها.

أمسك غاي يدها بقوة. كانت يداه دافئتين وداعمتين، وقال: «كدت أقتله، ذلك الأحمق».

ارتعشت لكنها تمكنت من الابتسام: «اعتقدت.. أشعر أنني حمقاء. اعتقدت أنه خنجر أو شيء من هذا القبيل».

قال غاي بهدوء: «كانت ردّة فعلك قوية، لو كان خنجراً لقتلك».

ولو كان قنبلة لقتلتهما معاً! وفكرت، على الاقل، كانا سيموتان معاً..

قالت بنبرة صادقة: «الحمد لله أنها لم تكن كذلك. ما الذي جعله يفكر بشيء كهذا بحق الله؟».

هزّ رأسه مستنكراً: «إنه يرغب بالزواج، لكن أمه ترفض الأمر. وكان يريدنا أن نتحدث إليها لنقنعها، لذلك اختار هذه الطريقة. اعتقد أننا سنفهم من الوردة أن ليس هناك ما يخيف».

حدّقت لورين به، ثم قالت بصوت مرتجف بالرغم عنها: «إذا بدأت الآن بالضحك فسينتهي بي الأمر بأن أضحك بشكل هستيري، لذلك سأؤجل ذلك إلى وقت لاحق».

وافقها زوجها بهدوء: «قرار حكيم».

وعادا يلوحان بأيديهما ويبتسمان للحشد السعيد. لكن لورين أبقت يدها بيد غاي حتى وصلا إلى القصر القديم.

بعد مرور فترة من الوقت، وبعد انتهاء مأدبة الزفاف وتوديع والديها وبيج ومارك، غادر العروسان القصر وقد حلّ الغسق. قاد غاي السيارة وبعد فترة، ابتعدا عن سكان الجزيرة المحتفلين ووصلا إلى طريق فرعية في الجانب الآخر من داسيا.

انعطف عن الطريق الرئيسية نحو طريق فرعية خاصة، وبعد عدة دقائق توقفا أمام منزله. وأجفلت لورين عند النظرة الأولى إلى المنزل وقالت: «ظننت أنه منزل قديم».

جاءت نبرة صوتها عادية، إذ فارقها التوتر. كانت الأنوار تشع من المنزل ذي الطبقتين، وأسرع رجل لملاقاتهما.

- هل خاب أملك؟

قالت بهدوء وهي تنظر إلى المبنى الأنيق وما يحيط به: «لا، إنه رائع ويناسبك تماماً».

من الداخل بدا المنزل واسعاً ذا تهوئة جيدة، تمتزج فيه رائحة البحر بالروائح العطرة التي تفوح من الأزهار في الحديقة ومن تلك التي نشرت بكثافة في كل أنحاء المنزل. لقد قام أحدهم بتزيين المنزل ليس فقط بالورود الحمراء التي تعبّر عن الحب بل بالكثير من الأزهار العادية ذات اللون العاجي والتي تعبق رائحتها فتملأ الهواء الدافىء الجاف. أما الشموع.. فطويلة بيضاء تتلألأ أنوارها الذهبية من بين الأزهار.

- هذا جميل جداً!

أخذت لورين نفساً عميقاً، ونظرت حولها بذهول ثم التفتت إلى وجه غاي قبل أن تجيل نظرها في ما حولها ثانية قائلة: «هل يمكنك أن تبلغ شكري

إلى كل من فكّر بذلك ومن قام تنفيذه؟».

- سأفعل.

ثم عرّفها على مدبرة المنزل والخادمتين ونقل إليهن شكرها باللغة المحلية، فابتسمت لها بفرح. بعدئذٍ رافقتها مدبرة المنزل إلى غرفة نوم كبيرة، فيها حمّام كبير وباب زجاجي واسع يؤدي إلى شرفة مسقوفة. كان هناك المزيد من الأزهار في غرفتها والمزيد من الشموع التي تتلألأ على طاولة الزينة.

وصلت ثيابها إلى هنا عند الصباح ولا شك أن ثياب غاي وصلت أيضاً، لكنها لم تكن معلقة إلى جانب ثيابها في الخزانة الكبيرة في الغرفة. إذن، سوف تنام بمفردها في هذا السرير الجميل.

شعرت بخيبة أمل حادة، فخرجت إلى الشرفة ووقفت هناك وحيدة لفترة طويلة. كانت النجوم تسطع فوق رأسها والأمواج تلطم الشاطىء الأبيض برفق على بعد مسافة منها. وأخيراً، اتخذت قرارها وعادت إلى الداخل. وبدلت ثوبها الحريري بثياب مناسبة أكثر لتمضية أمسية مع زوج لا يريدها إلا بصورة مؤقتة.

أراها غاي المنزل من الداخل، كما أراها كيف يعمل جهاز الأمن، ثم قال: «تبدين مرهقة. باستطاعتنا رؤية الحديقة غداً. لِمَ لا تخلدين إلى النوم باكراً الليلة؟».

فقالت بهدوء: «نعم، سأفعل ذلك».

لكنها شعرت بألم كبير يمزق قلبها. وبعد مرور نصف ساعة أصبحت جاهزة للنوم وهي ترتدي بيجاما قطنية من دون أكمام. نظرت إلى السرير الواسع المغطى بأوراق الورود والأزهار وشعرت بالارتجاف.

طرقة على باب الشرفة دفعتها لتستدير. شعرت بسرور غامر ما إن رأت غاي. لكن سرورها تبخر عندما لاحظت أنه ما زال يرتدي الثياب التي كان يرتديها عندما قاما بجولة في المنزل. اضطرت لأن تتنحنح كي تجلي حنجرتها

قبل أن تقول: «ادخل».

بخطوة واحدة أصبح غاي داخل الغرفة، وشعرت أنه ملأها بحضوره القوي فراح قلبها يضرب بقوة. ضاقت عيناه وهو ينظر إليها، ثم قال بصوت أجش: «لقد أصبت بخدش».

ردّت بسرعة: «إنه خدش بسيط».

لقد سبيته أصابعه لها وهو يحاول إبعادها عمّا ظن أنه قذيفة. لكنه اقترب منها ولمس الاحمرار الواضح في بشرتها بنعومة: «أنا آسف، أردت أن أبعدك عن الخطر، ظننت أن تلك قنبلة. ألديك مرهم تضعينه على الخدش؟».

- لقد نظفته بالمطهر.

أحنى رأسه وقبّل الخدش بنعومة، ما أرسل موجات من الارتعاش في كيانها... وما لبث غاي أن ابتعد عنها واكتست ملامح وجهه من جديد ذلك القناع من الصلابة التي عرفته فيه طيلة الشهر الفائت. ثم قال: «علينا أن نتحدث».

- أنا.. حسناً.

سار باتجاه الأبواب المفتوحة وظهره نحوها وقال: «عندما ذهبت إلى نيوزيلندا، قلت لنفسي إنني ذاهب إلى هناك لزيارة لوسيا وهانت، فهما يعيشان في منزل لا يبعد كثيراً عن خليج الجزر. لكنني في الواقع، كنت أريد أن أرى كيف تعيشين في عالم كوريت».

لمعت فكرة في خاطرها فسألته: «هل قالت لك لوسيا إنني عشيقة مارك؟».

- كلا. سمعت ذلك من قبل من أحد الأقرباء.

وتوقف عن الكلام قليلاً ليتابع بتعمد: «كان ذلك قبل أن ألتقي بك».

إذن، كان يعرف من تكون حين ظهرت له في سانت روزا. وعاد يتابع كلامه: «قالت لوسيا إن هناك صلة بينك وبين كوريت، لكنها لا تعلم ما

www.elromancia.com

هي. كل شيء كان ضدك فأنت تعيشين في منزله. أصابني الرعب عندما علمت أن وسائل الإعلام قد تكشف أمر زواجنا..».

رفعت ذقنها بكبرياء: «حتى لو كنت حبيبة مارك، فما شأنك أنت بذلك؟».

– هل يمكنك قول ذلك بعد الفترة التي أمضيناها في فالانو؟

قالت بغموض: «قد تكون على حق. لكننا لم نتعهد بشيء لبعضنا البعض».

استدار نحوها ونظر إليها بعينين تشعان بلون ذهبي وقال: «أردتك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها، وعلمت أنني لن أستطيع انتزاعك من أفكاري».

أخذت نفساً حاداً وقالت: «لكن لماذا.. عندما علمت بحقيقة صلتي بمارك وفهمت سبب خوفي من وسائل الإعلام.. لمَ ابتعدت عني؟ منذ اللحظة التي قررنا إجراء مراسيم الزواج في داسيا أصبحت أكثر برودة وبعداً».

– لأنني حينها كنت واقعاً في حبك حتى أذني، ولم أعترف بذلك لنفسي. وأنت لم تبادليني هذا الحب وقد أظهرت ذلك بصراحة ووضوح.. أظهرت لي أن آخر شيء تريدينه في حياتك هو هذا الزواج الذي أجبرتك عليه.

شعرت لورين بنبضات قلبها تتراقص، وهزّت رأسها غير مصدّقة: «ربما تكون قد حكمت علي بذلك لكنني أنا الرابحة من هذا الزواج. ففي المرة الأولى انقذني الزواج بك من تجربة مزعجة، وفي المرة الثانية قدمت لي الحماية عندما أصريت على إتمام الزواج الكنسي رسمياً، وذلك لحمايتي أنا وعائلتي».

التوى فم غاي بسخرية وقال: «هذا جزء من الحقيقة، كذلك فإن مشاعر سكان داسيا تجاه الزواج هي جزء من الحقيقة، لكنها جزء فقط. عندما عدت من الولايات المتحدة ورأيت أنك لا تستطيعين النوم، علمت أن من واجبي

أن أعرض عليك حريتك، لأنني لا أستطيع تحمّل تقييدك بي بالإكراه. وعندها علمت أنني أحبك».

شعرت لورين بالصدمة وكادت ألاّ تصدق ما تسمعه. أخذت نفساً سريعاً وقالت: «لقد أبعدتك عني يومها وخذلتك».

– نعم. كنت حازمة جداً في المحافظة على وعودك، عندما عاودني الأمل.

– لكنك لم..

وسكتت فجأة، عندئذٍ قال: «ماذا؟ لم أتودد إليك؟ ومتى تسنّت لنا الفرصة لذلك؟ كان القرار قرارك.. وما زال كذلك. إذا طلبت مني أن أعود إلى غرفتي سأفعل ذلك».

وفجأة أضاءت ابتسامة عريضة وجهه وتابع يقول: «بالطبع، لن أعدك أنني سأتوقف عن ملاحقتك حتى تقعي في حبي أنت أيضاً».

بالكاد تمكنت لورين من سماع صوتها بسبب صوت خفقان قلبها المتسارع في أذنيها وقالت بهدوء: «لقد بدوت غامضاً جداً. بالطبع أنا أحبك. مع أنني لم أعترف بذلك.. كنت أحاول إقناع نفسي بأنني مثل أمي، أقفز بسرعة إلى المغامرة. لكنني ما كنت لأمكث معك في فالانو لو لم أكن أحبك. وعندما وصلنا إلى هنا واكتشفت من تكون، علمت أن ما أعيشه هو مجرد حلم».

– لماذا؟

وعندما امتنعت عن الإجابة قال: «بالتأكيد ليس من أجل تاريخ عائلتك.. هذا لن يحدث أي فرق لورين، فلا أحد يهتم بذلك. الجميع يعلم بشأن والد ألكسا».

قالت بهدوء: «جدها كان أميراً».

أطلق ضحكة خشنة وقال: «حسناً، إذا كانت وراثة الدم هي ما يثير اهتمامك، هانت زوج لوسيا شق طريقه من ملجأ للأيتام، لا شيء معه سوى

www.elromancia.com

شجاعته وذكاؤه وتصميمه القوي».

قالت ببساطة: «نعم. لكنه غني».

- لوسيا لم تتزوج به من أجل ماله.

أرادته أن يقنعها بطريقة أخرى.. بعناقه، لكنه بقي بعيداً عنها.

- أعلم ذلك، لكن ليس هناك مساوىء في ماضيه، ليس هناك سوى الفقر. وأنت تعرف أن الماضي يلقي دائماً بظلاله على المستقبل.

- لورين هذا أمر تافه، ولا أحد يهتم به. لديك من الشجاعة والذكاء والقلب الدافىء والسحر ما يجعل كل من يقابلك يركع على ركبتيه..

ثم هزّ رأسه متعجباً: «ما كنت لأفكر مطلقاً أنك تفتقدين إلى الثقة بالنفس».

نظرت لورين إليه ورأت الحقيقة مجردة في عينيه ووجهه، فشعرت بأن ثقلاً كبيراً قد انزاح عن كتفيها، كما شعرت بخفة تدفعها لأن ترقص من السعادة والفرح. لكنها قالت بحذر: «أعتقد أنني أقنعت نفسي أن ماضي مخجل، لا سيّما أنني لم أشأ أن يسخر أحدهم من أمي، وربما ذلك جعلني أشعر بالأمان. فلا بد أن الحب أمر مخيف لأنه جعل أمي ترمي خلف ظهرها زواجاً جيداً».

وترددت قبل أن تتابع قائلة: «لكن الأمر لم يكن كذلك. والدي الحقيقي التقى بها في ظروف صعبة جداً، فقد كانت مقتنعة أنها لا تستطيع الانجاب. كانت تشعر بالفشل لظنّها أنها امرأة عاقر. كان لطيفاً معها ما جعلها تشعر بالأمان وبأنها امرأة مرغوبة وكاملة. لكنها عادت إلى رشدها بعد فترة قصيرة لتجد نفسها حاملاً بطفلة منه».

- هل يؤلمك ذلك؟

- لا. فوالدي هيوغ لم يتوقف يوماً عن حبها، وهي أيضاً تحبه. أنا لست كاملة، فلِمَ علي أن أتوقع أن تكون أمي كاملة؟

قال غاي: «وأنا أيضاً لست كاملاً».

وتوقف قليلاً عن الكلام ثم تابع يقول بصوت عميق: «لكنني سأبقى على حبك إلى أن أموت. ولن أخونك يوماً».

شعرت بالدموع تتجمع في عينيها: «أحبك، وقد أقتلك إن فكرت يوماً بخيانتي. لكنني سأكون دوماً صادقة معك. أعدك بذلك».

أرجع رأسه إلى الوراء وراح يضحك. وفي لحظة، تلاشى الغضب والتوتر اللذين استمرا طيلة الشهر الماضي. وهكذا بدا غاي أكثر شباباً حين قال: «قتلي سيضمن لك عدم قيامي بأي خيانة».

لكن وجهه اكتسى بالجدية فجأة وتابع يقول: «لكن لن تحتاجي إلى ذلك مطلقاً، وأنا أعني ما أقوله. فأنت كل ما أحتاج إليه في حياتي».

أمعن النظر إليها عن قرب وقال بصوت مرتعش: «أتبكين حبيبتي؟».

مسحت الدموع عن خديها، فهي لن تسمح بإفساد هذه اللحظات الغالية.

- الأسابيع الماضية كانت رهيبة، شعرت خلالها أنني أعيش حياة مزدوجة مزيفة. رأيتك وأنت تبتعد عني ولم أدرِ ما أفعله بهذا الشأن، لأنك قلت إنك لم تكن تنوي الزواج بي..

قاطعها قائلاً: «قلت ذلك فقط بعد أن أخبرتني أنك تكرهين ما يجري. أردتك أن تشعري بالأمان، وأن تعلمي أنني لن أجبرك على العيش معي بعد زواجنا، مع أنني كنت أتمنى أن أقنعك بذلك».

منحته لورين ابتسامة مشرقة وقالت: «أحمقان.. كلانا غبيان وأحمقان تماماً. يفاجئني أنك لم تدرك ما الذي يجري معي.. في النهاية أنا لست حبيبتك الأولى. ولقد رأيت مدى تأثيرك على النساء، فأنت تجذب أنظارهن ما إن تدخل إلى الغرفة!».

تجاهل غاي نبرة المرارة في صوتها وقال بهدوء: «لكنك المرأة الوحيدة

التي أحببتها في حياتي كلها».

واقترب منها أخيراً، وأغرقها في عناق رائع لا أثر فيه للحواجز. . وبعد قليل قال: «والمرأة الوحيدة التي سأحبها دوماً».

ثم أبعد خصلاً من الشعر عن وجهها وتابع يقول: «الأمر معك مختلف جداً، فحبك يجعلني أشعر بالضعف، لقد كرهت ذلك في البداية، ثم تذكرت كم كنت حنونة، دافئة، ولطيفة في فالانو، واحتقرت نفسي لأنني قمت بشيء جعلك تتغيرين من ناحيتي».

- هذا ما يفعله الحب بالناس!

أخفض غاي بصره ونظر إلى بيجامتها وقال بحزم: «أمنعك منعاً باتاً من ارتداء مثل هذه الثياب ثانية فهي تجعلك تبدين صغيرة جداً وشديدة النعومة، من الآن وصاعداً أريدك أن ترتدي ثياباً حريرية للنوم أيضاً».

شعرت لورين بالتألق فجأة وضحكت قائلة: «لقد قيل لي إن الزواج الناجح يقوم على التوافق، ولأنني أحبك سأرتدي الحرير. لكن أنت أيضاً عليك أن تقوم ببعض التنازلات».

- بالطبع.

حملها بين ذراعيه إلى السرير ليغيبا معاً في بحر من المشاعر التي طال انتظارها، دون أية حواجز أو خوف أو تردّد.

لم يدركا كم مرّ عليهما من الوقت، وفيما هما مستلقيان. كانت لورين تصغي إلى دقات قلبه فقالت: «اعتقدت أنك ستتركني وحدي الليلة».

- كنت قد قررت ذلك. لكن عندما قام ذلك الشاب الأحمق برمي الالتماس عليّ، حاولت أن تحميني برمي نفسك عليّ.

ونظر إليها ووجه متصلب كالحجر وتابع يقول: «الأمر الوحيد الذي منعني من قتله على الفور وبدون رحمة، هو أن حركته تلك جعلتني أعرف أن لديك بعض المشاعر نحوي».

قالت بتأثر: «آه، فهمت».

- أعطاني ذلك بعض الأمل.

ثم التمعت أسنانه البيضاء وهو يبتسم قائلاً: «حفل الزفاف الرائع الذي نظمته لنا ألكسا لم يكن ضرورياً، لكنني أعترف أنني كنت سعيداً به. يحتاج الرجل لأن يعرف، مرة في حياته، ذلك الشعور الذي انتابني حين سرت نحوي في الممر وأنت تحملين الزهور على ذراعيك. حتى ذلك الوقت، كنت أظن أنني سأدعك ترحلين إذا أردت ذلك بعد سنتين أو أكثر. لكن ما إن رأيتك حينها، أدركت أنني قد أفعل أي شيء لأجعلك تحبينني».

لامست لورين ذقنه بإصبعها بنعومة وقالت: «كان عليك أن تصارحني بمشاعرك، وأن تدرك ما أشعر به نحوك».

- أردت الحصول على حبك الحقيقي وليس فقط على تلك العاطفة القائمة على الانجذاب.

شعرت بارتعاشة عذبة تسري في كيانها وقالت: «أخفيت ذلك بطريقة جيدة».

لكن نبرة التفهم بدت واضحة في صوتها.

- وأنت أيضاً.

ثم أردف قائلاً: «هل يمكننا أن نقسم بألاّ نخفي عن بعضنا البعض ثانية أي أمر؟ أريد أن أعرف أسباب حزنك إذا ما حزنت وأن أشاركك السعادة عندما تكونين سعيدة».

- هذا ينطبق عليك أيضاً، فلا تبعدني عنك ثانية. . آه، ظننت أنني سأذوي بعيدة عنك.

عانقها بنعومة قال: «علينا أن نجد لك عملاً تقومين به، فلن تشعري بالسعادة إذا اقتصر عملك على تنظيم المناسبات الخيرية».

ردّت لورين على الفور: «كلا. أين سنعيش؟».

- في أي مكان ترغبين فيه.

وعندما امتنعت عن التعليق تابع قائلاً: «في باريس إن كان هذا يسعدك».

- أحب أن أعيش هناك، لكن والديّ أحبّا داسيا. وبالأمس كان أبي يتحدث عن شراء منزل هنا. هل ستجد الأمر صعباً إذا كان لنا منزل هنا أيضاً؟

- لا يمكنهما شراء منزل هنا، فالأملاك في داسيا تعود فقط إلى أهل البلاد. لكن يمكنهما أن يستأجرا واحداً. وأنا سأكون سعيداً جداً للبقاء في الجزيرة. وعندما سنرزق أطفالاً، سيكون من الرائع أن يجدوا جدّيهم بالقرب منهم. كما أنه سيتسنى لهم اللعب مع أطفال الجزيرة كما فعلت أنا في طفولتي، ومع أولاد لوكا وألكسا.

غمرته لورين بذراعيها وهي تشعر بسعادة لا توصف وقالت: «أشعر أني أكاد أموت من فرط السعادة».

ضحك غاي بنعومة: «حبيبتي، لا أحد يموت من فرط السعادة».

فهمست في أذنه برقة: «يمكنك أن تعيدني إلى الحياة عندما تعانقني».

ثم هتفت وكأنها تذكرت شيئاً هاماً: «هديتك!».

التمعت عيناه الذهبيتان وقال بصوت عميق: «لقد حصلت عليها للتو».

ضحكت لورين ومدت يدها تحت الوسادة لتخرج علبة مجوهرات صغيرة ثم تقول: «إنها هدية الزفاف».

نظر غاي إليها وقد بدت الدهشة على وجهه، ثم فتح العلبة بأصابعه النحيلة. وإذا به يرى فيها خاتماً صنع خصيصاً له، وقد نقشت عليه صورة نمر داسيا، نمر ذو عينين من الزمرد تلمعان بقوة. راقبته لورين وهو يضع الخاتم في إصبعه بعد أن شعرت للحظة قصيرة بعدم الثقة وقالت: «أعلم أن الخاتم

القديم غالٍ على قلبك..».

- أصبح أغلى بكثير لأنك حملته بإصبعك، والآن أصبح هذا الخاتم عندي الأغلى لأنه هدية منك.

وراح يضحك ضحكة عميقة مليئة بالرضى والسرور وقال بصوت أجش: «لورين، أحبك من كل قلبي وجوارحي، وسأحبك كل يوم أكثر فأكثر، وحتى آخر يوم من حياتي».

شعرت لورين بالسعادة تغمرها وفكرت أنها من الآن فصاعداً ستنام قريرة العين بين ذراعيه. ولا يهم ما الذي سيحدث، لأنهما سيكونان في أمان معاً هي وأميرها الحبيب.

www.elromancia.com